جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

ترجمة الصفحات من 53 الى 103من كتاب: "أنا مالالا"

" الفتاة التي ناصرت التعليم وأطلقت عليها حركة طالبان النار"

تأليف: كريستينالامب و مالالا يوسف زاي

Translation of the pages (53 - 103) from the book Entitled

'I AM MALALA'

The Girl who stood up for Education and was shot by the Taliban

BY: Christina Lamb and Malala Yousafzai

بحث تكميلي لنيل درجة ماجستير الآداب في الترجمة

إعداد الدارس:

أسامة أمين المرضى الخضر

إشراف الدكتورة:

ندى سيد احمد الجاك

فبراير 2015

الإهداء

إلى روح والدَيَّ

(سائلاً الله لهما المغفرة والرحمة)

وإلى أسرتي الصغيرة والكبيرة

أَهْدِي هذا البحث

الباحث

شكر وتقدير

أتقدم بأسمى آيات الثناء والتقدير والعرفان لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل. وأشكر أساتذتى الأجلاء شكراً عميقا لصبرهم طوال فترة الدراسة، واود ان أشكرهم ايضاً على نقدهم البناء،

وأخص بالشكر والتقدير

الدكتورة ندى سيد أحمد الجاك التي أعتز وأفتخر بإشرافها على هذا البحث.

والله ولي التوفيق.....

مقدمة المترجم

هذا البحث عبارة عن ترجمة لكتاب "I AM MALALA" أنا ملا لا" يحكى هذا الكتاب عن قصة فتاة في وطن يرزخ فى وطأة الحرب, الا انها ناضلت رغم صغر سنها لتساعد فى تثبيت حق المرأة فى التعليم و دورها فى المجتمع. ولدت ملالا لأب أحترم حرية تفكيرها ولأم تولت مسؤولية قيادة الاسرة. فقد كان منزلها عبارة عن داخلية للفقراء من اقربائها وزميلات ملالا. سردت ملالا في الكتاب من صفحة 56-64 قصة حياتها الشخصية عندما كانت طفلة فى شجاعة وصراحة, عن أشياء كانت تسرقها من زميلة لها اسمها صافينا والدروس التى تعلمتها من والدها بعد أن أكتشف ذلك, وبدلا عن معاقبتها, علمها دروس فى الاخلاق عن أبطال وعظماء ارتكبوا أخطاء وهم صغار مثل المهاتما غاندى ومحمد على جناح، وعلمها ان العبرة ليست في ارتكاب الاخطاء, ولكن المهم هو ما يتعلمه المرء من خطأه, كذلك روت فى هذا القسم كيف استولى برويز مشرف على السلطة فى باكستان فى مشهد بالغ الاثارة أقرب منه الى الفليم السينمائي. وروت كذلك بداية ممارستها لفن الخطابة فى المدرسة عندما أشتركت فى مسابقة فى الخطابة. وتناولت ترجمة الصفحات من 65 إلى 73 الصدمة التى تلقتها عندما شاهدت أطفال يجمعون القمامة ليوفروا قوتا لاسرهم, فحكت لوالدها ماشاهدته وطلبت منه ان يساعد هؤلاء الاطفال, وكان هذا بداية الطريق فى تشجيعها للتعليم ومساعدة الفقراء. تناولت ملالا فى الصفحات من 65 الي 73 الصعوبات التى واجهها تعليم البنات فى وادى سوات اثناء حكم الجنرال ضياء الحق لباكستان الذى منح سلطات قوية للمدارس الدينية التى فرضت رقابة قوية على مدارس تعليم البنات. وفى الصفحات من 74 الي 84 حكت عن محاولات الجماعات الاسلامية المختلفة لغلق مدارس البنات. وتناولت الصفحات من 84 الى 90 احداث زلزال عام 2005 والذي يعتبر اقوى زلزال فى التاريخ وكيف تعامل معة المواطنون فى سوات والمساعدات التى قدمت من الدول المختلفة ومن المنظمات الاسلاميه. بينما عمدت الصفحات من 91 الي 103 لعكس كيفية إستيلاء طالبان على السلطة فى وادى سوات, وظهر فى ذلك الوقت رجل دين يدعى مولانا فضل الله حيث أطلق محطة إذاعية غير قانونية والتى نالت إعجاب الناس واصبحت تعرف باسم (راديو ملا) فقد قدم نفسه فى البداية للناس باعتباره مصلحا اسلاميا ومفسرا للقرآن الكريم, الا انه بعد فترة هاجم تعليم المرأة وشجع البنات الى عدم الذهاب الى المدارس لان المرأة مكانها البيت.

Introduction of the Translator

This research is a translation of the book entitled ''I AM MALALA''. The book was written by Malala yousafzai and Christina lamb. It tells the story of a girl in a country under a pressure of war, but despite her young age she stood up and fought for the installation of a woman's right in education and her role in society. Malala was born to a father who respected the freedom of her thinking and a mother who took the responsibility and leadership of the family. Her home was a boardinghouse for the poor relatives and colleagues of Malala`s.In Pages 56-64 she told about her personal story when she was still young courageously and frankly, about the things that she had stolen from her friend named Savina and the lessons learned from her father when he discovered her stealing sins, instead of punishing her he taught her lessons in ethics form Heroes and the great men who made committed when they were young, such as Mahatma Gandhi and Muhammad Ali Jinnah, the lesson is not in making mistakes, but the important thing is what you learn from your mistakes. In this section she also wrote how Pervez Musharraf seized power in Pakistan in a thrilling scene closer to cinema films. She had an opportiunity to practice the art of rhetotic, when participated in rhetoric competition in school. Pages from 65 to 73 addressed the translation of, the shock she received when she saw the children collecting garbage to provide food for their families, she told what she saw to her father and asked him to help these children, and this was her first step on the road to encourage education and help the poor.In pages 65-73 Malala wrote about the difficulties faced by the girls to find education in Swat Valley during the rule of General Zia ul-Haq of Pakistan, who gave power and authority for the religious schools that imposed a strong control over the schools, and education of girls.Pages 74-84 told about the many attempts religious clerks made to close her father's girls school. Pages from 84 to 90 told about the events of the 2005 earthquake, the strongest earthquake in history and how they dealt with it as citizens in Swat and the assistance provided from different countries and Islamic organizations.Pages 91- 103, focused on the period when Taliban seized power in Swat, and in the meantime a cleric named, Mulana Fazlullah was able to make an illegal radio station which won the admiration of people and became known as (Radio Mullah), Fazlullah at the beginning

introduced himself to people as an Islamic reformer and interpreter of the Qur'an, however, after a period of time he started attacking the education of women and encouraged girls not to go to school, because women's place is home.

فهرس الموضوعات (محتويات الترجمة)

الموضوع	رقم الصفحة
الإهــداء	I
الشكر والتقدير	Ii
مقدمة المترجم	Iii
Introduction of the Translator	Iv
فهرس الموضوعات	V
مسرد المصطلحات والشخصيات	vi
الفصل الاول القرية	1
الفصل الثانى لماذا لا ألبس أقراطا ولماذا لا يقول البشتون شكرا	4
الفصل الثالث أطفال جبل القمامة	12
الفصل الرابع المفتي الذي سعى لغلق مدرستنا	20
الفصل الخامس خريف الزلزال	29
القسم الثاني وادي الموت:	34
الفصل الفصل السادس الملا راديو	35
الفصل السابع سكاكر وكرات تنس وتماثيل بوذا في سوات	44
الخاتمة	

مسرد المصطلحات والشخصيات

المصطلح أو الشخصية	التعريف	رقم الصحفة في النص المترجم	رقم الصحفة في النص الاصلي
Benazir Bhutto)Pakistani President)	رئيسة وزراء باكستان	1	53
Tapey	نوع من الشعر الشعبى بلغة الباشتو مكون من بيتين (دوبيت)	1	53
hujra	حجرة (مكان تقليدى لعقد إجتماع البشتون)	2	54
Pashtunwali	تقاليد البشتون	2	54
Swara	تقليد للبشتون بموجبه يمكن ان تقدم فتاة الى قبيلة أخرى في سبيل حل خصومة ثأرية	2	54
Jirga	مجلس كبار رجال القبيلة	2	55
nang	الشرف	6	59
manana	شكرا لك	7	59
badal	الثأر	7	60
Allama Iqbal	العلامه محمد اقبال شاعر قومي	10	64
Bazar	سوق	13	66
(ISI) Inter-Services Intelligence	جهاز الاستخبارات الداخلية	16	70
maulana	عالم إسلامي	17	71
Mufti	عالم أسلامى وسلطة فى القانون الإسلامي	20	74
Jinnah	محمد علي جناح (وهو مؤسس دولة باكستان كان محام وسياسي تزعم جناح عصبة مسلمي عموم الهند من 1913 لغاية استقلال باكستان في 14 أغسطس 1947، ليصير بعدها أول حاكم عام لباكستان منذ	21	75

الفصل الاول

القرية

كان الجزء المهم فى العرس التمثيلى هو المجوهرات. فكنا نضع الأقراط, والاساور والقلائد لتزيين العروس وكنا نغنى أغانى بوليود (أغانى هندية) أثناء ذلك. بعد ذالك نأخذ مساحيق الزينة (ميك أب) التى أخذناها من امهاتنا لنضعها على وجهها, ونغطس يديها فى الحجر الجيرى وصودا ساخنه حتى يصبحان أكثر ابيضا. ونضع على اظافرها الحناء ليصبح لونهم أحمر. وبمجرد ما يتم تجهيزها, تبدأ العروس بالبكاء ثم نُربت على رأسها ونحاول اقناعها بأن لاتقلق, وكنا نقول لها: "الزواج سنة الحياة، كونى ودودة لحماتك وحماك حتي يعاملونك معاملة حسنة. إهتمى بزوجك وستكوني سعيدةً".

وفى بعض الاحيان يكون هناك حفل زواج حقيقى مع ولائم كبيرة والتى تستمر لأيام مخلفة الأسرة أما مفلسة أو مديونة. تلبس العرسان ملابس مختارة بعناية وتتزين العروس بالذهب والاسورة والمجوهرات التى تهديها لها الاسرتان. وقد قرأت ان بنازير بوتو أصرت على لبس أساور من زجاج فى زواجها لتضرب مثلا يحتذى. ولكن رغم التكلفة العالية لازالت تقاليد زينة العروس مستمرة. وهناك مناسبات اخرى ذات طابع حزين يتم فيها إحضار نعش فى صندوق من الخشب من احد المناجم. فتتجمع النساء فى منزل زوجة المتوفى أو منزل والدته ثم يبدأ النحيب بصوت عالٍ يسمع صداه حول الوادى وهو ما كان يقشعر له جلدى.

كانت القرية فى الليل تغط فى ظلام دامس ويظهر فقط ضؤ مصابيح الزيت الذى يتلألأ فى المنازل الموجودة فوق الجبال. لم تتحصل النساء كبيرات السن على اي قدر من التعليم ولكنهن يجدن سرد القصص التى نسميها (*التابى*), وهو نوع من الشعر الشعبى بلغة الباشتو مكون من بيتين (دوبيت) البيت الاول من تسعة كلمات والبيت الثانى من ثلاثة عشر بيتا. وكانت جدتي تجيدها إجادة تامة. وكانت إما عن الحب او ان المرء من اصول بشتونيه. وكانت تقول: "لا يوجد بشتوني يترك ارضه بمحض ارادته, فاما ان يسافر نتيجة للفقر او للحب" كانت خالاتنا تخيفنا بقصص الاشباح مثل قصة (شلقواتى), الرجل صاحب العشرين

أصبعا الذى انذرونا بانة سينام فى أسِرَّتِنا. كنا نبكى هلعا, رغم اننا جميعا فى حقيقة الامر لدينا عشرين إصبعا نظرا الى أن لغة البشتو تستخدم كلمة واحدة للاشارة الى (إصبع القدم) و (إصبع اليد), ولاكننا لم ندرك ذلك. ولاجبارنا ان نستحم كانت, خالاتنا تحكى قصصا عن امرأة مخيفة اسمها (شاشاكا) التى تتعقبك بيديها الملتخطين بالطين وبأنفاسها الكريهة إذا لم تستحمى او تغسلى شعرك فتحولك الى امرأة قذرة شعرها يشبة ذيول الفئران الملآنة بالحشرات, بل وحتى ربما تقتلك. وفى الشتاء عندما لايريد والدان لاطفالهم ان يبقوا خارج المنزل للعب على الثلج, فأنهم يقصون لهم حكاية الأسد او النمر الذي يكون دائما صاحب الخطوة الاولى على الثلج. ولم يكن يسمح لنا بالخروج من المنزل الا عندما يطبع أسد او نمر أثر مخالبه على الثلج.

اضحت القرية تبدو مملة عندما كبرنا, فلم تكن تضم الا جهاز تليفزيون واحد موجود فى مجلس احدى العائلات الثرية, فيما لم يكن لدى احد جهاز حاسوب.

تغطى نساء القرية وجوههن عندما يغادرن مجالسهم الخاصة ولا يستطعن أن يقابلن أو يتحدثن إلى رجال ليسوا من أقربائهم المقربين. أما أنا فكنت أرتدى ملابس أكثر مسايرة للموضة ولم أغط وجهي حتى بعد بلوغى سن المراهقة. وهو ما أثار غضب أحد أبناء عمى الذى سأل والدى: "لماذا لاتغطى وجهها؟" فأجاب والدى "إنها ابنتى اعتنى بشؤونك". ولكن بعض أفراد العائلة رأى ان الناس سوف يتناقلون القيل والقال عنا ويقولو اننا لانتبع *تقاليد البشتون* كما ينبغى.

برغم فخرى واعتزازى بانتمائي البشتونى, الا أننى أري أحيانا أن تقاليدنا البشتونية ربما تكون مسؤولة عن بعض الأوضاع السلبية التى نعانيها, ولا سيما فيما بتعلق بمعاملة النساء. وقد حدثتنى امرأة اسمها شهيدة عملت لدينا فى منزلنا وهى أم لثلاثة بنات صغيرات, انها عندما بلغت العاشرة من عمرها باعها ابوها لعجوز متزوج كان يرغب في زوجة شابة, لكن عندما تختفى الفتيات ليس بالضرورة ان يكن قد زوجن, فقد كانت هناك فتاة جميلة اسمها سيما فى الخامسة عشرة من عمرها, وعلم الجميع بأمر علاقة حب تربطها بفتى كان يتعمد المرور من أمامها احيانا فتنظر الية من تحت رموشها الطويلة السوداء, الامر الذى أثار

حسد كل البنات. وفى مجتمعنا اذا غازلت فتاة رجلا فان ذلك من شأنة ان يجلب الخزى والعار للعائلة, رغم ان التصرف ذاته لاغبار عليه اذا صدرعن رجل. وقد سمعنا إنها ماتت منتحرة, ولكننا إكتشفنا فيما بعد أن عائلتها قد دست لها السم.

يوجد لدينا تقليد اسمة (*سوارا*) والذي بموجبة يمكن ان تقدم فتاة الى قبيلة أخرى في سبيل حل خصومة ثأرية. وهو وإن كان محظورا على المستوى الرسمى فإنة مازال يمارس فى القرية. فقد حدث فى قريتنا ان تزوجت ارملة اسمها ثريا من أرمل ينتمى الى قبيلة اخرى كانت تجمعه بعائلتها خصومة ثأرية. ولانه لا احد يستطيع الزواج بأرملة دون إذن عائلتها, مما أثارغضب عائلة ثريا عنما انكشف أمر ذلك الزواج. وظلت تتوعد عائلة الرجل الارمل حتى أُحيل النزاع الى *(الجرجا)* مجلس كبار رجال القبيلة للحكم فيه. وقد قضى المجلس على عائلة الارمل بأن تسلم أجمل فتياتها للزواج من أقل الرجال جدارة فى القبيلة المنافسة. كان الزوج المرتقب لايصلح لأئ شئ, ويعانى فقرا مدقعاً, مما اجبر والد الفتاة لتحمل نفقات الزواج كلها. لماذا اذا تحطم حياة فتاة فى سبيل حل نزاع لا صلة لها به؟

عندما شكوت لأبي عن عدم أرتياحى لهذة التقاليد, قال لى ان الحياة أشد صعوبة على النساء في أفغانستان. فقبل سنة من مولدي تولت جماعة اسمها طالبان ويقودها ملا يرى بعين واحدة, السيطرة على الدولة وبدأت تحرق مدارس البنات. وكانوا يجبرون الرجال علي إطلاق لحاهم حتى تضاهى فى طولها فانوسا فيما يفرضون علي النساء إرتداء البرقع, ولبس البرقع يشبة المشى داخل قماش يشبة فى شكلة كرة لعبة الريشة (الباتمنتون) مع وجود شبكة صغيرة للنظر من خلالها وفى الايام التى ترتفع فيها درجات الحرارة يصبح البرقع مثل الفرن. على الاقل لست ملزمة بارتدائه. وقال ان طالبان حظروا على النساء كل شئ- بما فى ذلك الضحك بصوت عالٍ وارتداء احذية بيضاء, وذلك لأن اللون الابيض للرجال فقط. وقد عوقبت نساء بالحجز داخل الغرف والضرب لا لشئ الا انهن قمن بطلاء اظافرهن بالمنكير. كنت ارتعش وهو يخبرنى بمثل تلك الاشياء.

واصلت قراءة كتبى المفضلة مثل رواية (آنا كرينا) وروايات جان اوستن وآمنت بكلمات أبى "ملالا مثل طائرٍ حرٍ طليقٍ. وقد تملكنى- شعور بالفخر لكونى فى سوات عندما سمعت بالفظاعات التى ترتكب فى افغانستان, واعتدت القول: (هنا تستطيع الفتاة الذهاب الى

المدرسة) ولكن طالبان كانوا اقرب الينا مما نتصور, بل وبشتونا مثلنا. فقد كنت احسب سماء وادينا صافية, ولم أستطع رؤية السحب المتلبدة وراء الجبال. وكان أبي يقول لي: "سوف ادافع عن حريتك ملالا. استمرى فى أحلامك".

الفصل الثانى

لماذا لا البس أقراطا

ولماذ لا يقول البشتون شكرا

عندما بلغت السابعة من عمرى بدأت أحرز المركز الاول فى صفى الدراسى. وكنت اساعد التلميذات الاخريات ممن كن يواجهن صعوبات فى التعلم. وكانت زميلاتى فى الصف تقلن "ملا لا فتاة عبقرية". وأصبحت معروفة أيضا بمشاركتى فى كل الأنشطة مثل الباتمنتون والتمثيل والكريكت والفن, بل وحتى الغناء, وان كنت لااجيده كثيرا. ولذلك عندما انضمت الى صفنا فتاة جديدة اسمها ملكة النور, لم أعرها انتباها. اعتادت القول إنها تريد أن تصبح أول قائدة للجيش الباكستانى. وكانت والدتها تعمل معلمة لدى مدرسة أخرى وهو شئ لم نعتده, اذ لم تكن أمهاتنا تعملن. في البدايه, لم تكن تتكلم كثيرا داخل الصف, وظلت المنافسة محصورة بينى وبين صديقتى المقربة منيبة التى تميزت بخطها الجميل وتقديمها الجميل, وهو

أمر كان يعجب المتحنين, ولكنى كنت أعلم بمقدورى التفوق عليها فى المحتوى. ولذلك تملكنى الشعور بالصدمة عنما انتهينا من إختبارات نهاية العام وأحرزت ملكة النور المركز الاول. وما إن عدت الى البيت حتى أجهشت بالبكاء مما جعل امى تواسينى.

انتقلنا فى تلك الفترة من المنطقة التى كنا نسكنها والتي كانت منيبة تعيش فيها ايضا الي منطقة ليس لدى فيها صديقات. وفى شارعنا الجديد كانت تسكن فتاة اسمها صافينا تصغرنى بقليل, وبدأنا نعلب معا. كانت مدللة ولديها لعب كثيرة وصندوق ممتلئ بحلى اطفال. ولكنها كانت تحدق فى الهاتف الجوال ذو اللون الزهرى الذى اشتراة لى والدى وكان إحدى اللعب القليلة التى بحوزتى. كان أبى يكثر من الحديث عبر هاتفة الجوال, ولذلك كنت أحب تقليدة بالتظاهر بأني أجرى مكالمات هاتفية به, لكنه اختفى ذات يوم.

وبعد بضعة أيام رأيت صافينا تلعب بهاتف يشبه هاتفى المفقود تماما. سألتها: "من اين جئت بذلك؟" فأجابت "اشتريتة من سوق البازار".

أدركتُ الآن ربما كانت تقول صدقا, ولكنى قلت في نفسي وقتئذ، *انها فعلت ذلك بى وسوف افعل بها الشئ ذاته*. اعتدت الذهاب الى منزلها للمذاكرة, ولذلك كنت كل ما سنحت لى فرصة وانا هناك أسرق بعض أغراضها, ومعظمها من الحلى غير الحقيقى مثل الاقراط والقلائد. كان الامر سهلا. وفى البداية كانت السرقة تمنحنى شعورا بالأثارة, ولكن ذلك لم يدم طويلا، فسرعان ما تحولت الى فعل قسري لم اعد أعرف كيف الخلاص منه.

وفى مساء ذات يوم عندما عدت الى البيت قادمة من المدرسة ودخلت مسرعة كعادتى الى المطبخ لتناول وجبة خفيفة, وناديت: "*مرحبا يا أمى أكاد اموت جوعا*!" وساد صمت. كانت امى تفترش الارض وقد انهمكت فى دق البهارات, جذور الكركم والكمون ذات الالوان الذاهيه اللذين عبقت رائحتهما الهواء. واصلت الدق مرات ومرات. لم تلتق عيناها عينى. ترى ما الذى فعلتة؟ أحزنى ذلك كثيرا وأسرعت الي غرفتي. وعندما فتحت خزانة ملابسى, وجدتُ أن كل الاشياء التى سرقتها قد تلاشت. لقد افتضح أمري.

جاءت ابنة عمى رينا الي غرفتي وهى تقول "كانوا علي علم بانك تسرقين. وانتظروا ان تعترفى بالحقيقة، ولكنك أصررت على ماكنتى فيه".

شعرت بشعور مؤلم فى امعائي. عدت الى امي مطأطأة الرأس فقالت "ما فعلته خطأ ملا لا" قالت امى"هل تريدين ان تجلبي لنا العار بأننا لا نسبطيع شراء مثل تلك الاشياء" قلت كاذبة: "هذا كذب إننى لم أسرق هذة الاشياء".

ولكنها كانت تعلم أنني سرقتها. دافعت عن نفسى قائلة: "صافينا هى من بدأت ذلك. لقد سرقت الهاتف الزهرى الذي اشتراة لى *أبى*".

لم تأبه امي بما قلت. "صافينا أصغر منك سنا وكان ينبغي ان تكوني قدوة تتعلم منك بصورة أفضل".

بدأت في البكاء ورحت اعتذر المرة تلو المرة. وتوسلت اليها: "أرجوك لا تخبري أبى". لن احتمل رؤيتة وقد خيبت رجاءه. فكم هو شعور رهيب ان يجد المرء نفسة غير جدير بالثقة في أعين والديه.

لم تكن هذه هي المرة الاولى التي أقترف فيها مثل هذه الفعلة. فعندما كنت صغيرة ذهبت الي السوق بصحبة امي ولمحت كومة من اللوز فوق عربة تجر باليد. سال لعابي أمام اللوز حتى إننى لم استطع مقاومة رغبتي فى أخذ حفنة في يدى. وبختنى أمي واعتذرت لصاحب العربة. استبد به الغضب ولم يقبل الاعتذار. كانت أمى ما زال معها بعض المال فدققت فى حافظة نقودها لترى كم تبقى معها. سألت "هل تبيع اللوز بعشرة روبيات؟" أجاب: "لا. اللوز ثمنه أغلى بكثير"

انزعجت أمي من ذلك الموقف انزعاجا شديدا وأخبرت أبي، فما كان منه إلا أن ذهب من فورة واشترى كل اللوز من الرجل ووضعة فى طبق من الزجاج.

وقال لى "اللوز طعام طيب. وإذا تناولتيه مع قليل من الحليب قبل النوم بقليل فسوف ينمى ذكاءك". ولكنى كنت أعلم أنة لايملك مالا كثيرا وأصبح اللوز الموضوع فى الطبق يذكرني بذنبي. تعهدت أمام نفسى ان لا أفعل مثل هذا الأمر مرة أخرى أبدا. والآن ها أنا ذا قد فعلتها. اصطحبتني أمى حتى أعتذر لصافينا ولأبويها. كان الامر بالغ الصعوبة, فلم تعلق صافينا بأى شئ بشأن هاتفى. وهو ما ليس عدلا, ولكنى لم آتى علي ذكرة أيضا.

رغم أنني شعرت بالاستياء من ذلك, فإن ما هون علي هو أن المسألة قد طويت. منذ ذلك اليوم وأنا لم أكذب أو أسرق قط. لم اتفوة بكذبة واحدة أو أسرق فلسا واحدا, ولاحتى

النقود المعدنية التي يتركها أبي فى أرجاء المنزل, رغم أنه مسموح لنا أن نشترى بها الوجبات الخفيفة. توقفت أيضا عن لبس الحلى لأننى سألت نفسي, *ما هى تلك الحلى التى تغرينى*؟ لماذا علي ان أخسر نفسي مقابل بعض *الحلى المعدنية* ؟ ولكنى ما زلت أشعر بالذنب ومازلت حتى يومنا هذا أسأل الله العفو فى كل صلاة.

دأب ابواي على ان يخبر كلاهما الآخر بكل شئ, ولذلك سرعان ما علم أبى بالسبب وراء حزني. رأيت فى عينيه خذلانى له. كنتُ اريده ان يتباها بي، مثلما فعلت عندما فزت بجائزة المركز الاول فى المدرسة, ومثلما أخبرته آنسة الفت مُدِرسْتِنَا فى الروضة باننى كتبت علي السبورة جملة (تحدثي اللغة الأردية فقط) لزميلاتي فى بداية حصة اللغة الأردية حتى نتعلم اللغة بصورة أسرع.

حاول أبي ان يواسيني فحدثنى عما فعله ابطال وعظماء من أخطاء وهم صغار. وأخبرنى ان المهاتما غاندي قال، "الحرية غير ذات قيمة إذا لم تشمل الحرية فى ارتكاب الاخطاء". قرأنا فى المدرسة قصصا حول محمد علي جناح. وعرفنا أنه كان يذاكر تحت أضواء مصابيح الشوارع وهو طفل فى كراتشى لأن بيته لم يكن به كهرباء وأنه كان يحث الأولاد علي التوقف عن لعب البلى فى التراب ولعب الكريكيت بدلا عنه لكي لا تغبر ملابسهم أو تتسخ أيديهم. فى خارج مكتبه كان أبى يعلق رسالة داخل برواز بعث بها أبراهام لنكولن إلى معلم أبنه، وقد ترجمت الى البشتو إنها رسالة جميلة جدا، وبها نصائح جيدة، ويقول فيها: "علمه ان استطعت أن يتعرف علي عجائب الكتب ... ولكن وفر له أيضا أجواء هادئة يمكنه أن يتأمل من خلالها السر الأبدى للطيور فى السماء, والنحل فى الشمس والأزهار على التلال الخضراء. علمه أن الرسوب أشرف من النجاح عن طريق الغش"

أعتقد أن كل انسان يرتكب خطأ ولو مرة واحدة فى حياته، ولكن المهم هو ماذا يتعلم المرء من خطئه. وهذا هو السبب فيما كنت أواجهه من صعوبة في تقبل *التقاليد البشتونية*. فنحن علينا أن نأخذ ثأرنا ممن ارتكب خطأ بحقنا، ولكن الي اين ينتهى بنا ذلك؟ إذا قتل أو جرح رجل من عائلة ما على يد آخر, فلا مناص من الاخذ بالثأر كى يسترد الشرف, وهو ما لا يتم إلا عبر قتل اى شخص ذكر من أسرة القاتل وبعدئذ يصبح لزاما على تلك العائلة بدورها

أن تأخذ بثأرها. وهكذا يستمر الامر دون سقف زمنى لذلك, ولدينا قولة مأثورة تقول: "لقد أخذ البشتونى ثأره بعد عشرين عاما, فيرد آخر لقد أخذه سريعا جدا".

نحن شعب يحتفظ بكثير من الاقوال المأثورة. واحدي هذة الأقوال المأثورة هى: "إن حجر البشتون لايصدأ في الماء" وهي تفيد بأننا لاننسى أو نسامح. وذلك هو السبب أيضا فى كوننا نادرا ما نقول "شكرا لك" أو "*منانا*" لأننا نؤمن بأن البشتونى لن ينسى أبدا صنيع الخير وعلية رده يوما ما, تماما كما يرد صنيع السؤ. فالاحسان لايكافأ الا بأحسان مثلة, ولا يكفى ان يرد بعبارات من قبيل (شكرا لك).

تعيش كثير من العائلات فى مجمعات سكنية مسورة ثبتت على أسوارها أبراج مراقبة حتى يتسنى لهم رصد من يتربص بهم من أعدائهم. كنا نعرف كثيرا من ضحايا النزعات الثأرية. كان أحدهم هو شير زمان، وهو زميل دراسة لوالدي اعتاد ان يتفوق علية دائما فى الدراسة. وكان أبى يفقد صوابه كل ما يغيظة جدي وعمي بذلك: "إنك لست متفوقا تفوق شير زمان", وقد جعلاه ذات مرة يتمنى لو أن صخرا يهوي من فوق الجبل ويقضى علية. ولكن شير زمان لم يلتحق بالكلية وانتهى به الحال لان اصبح موزع أدوية فى صيدلية القرية. وكانت أسرتة قد تورطت فى نزاع مع أبناء عمومته على قطعة أرض صغيرة مزروعة بالأشجار. وذات يوم، وبينما كان شير زمان وأثنين من أشقائة فى طريقهم الى قطعة الارض، إذا بهم يتعرضون لكمين نصبه لهم عمهم وبعض رجاله، حيث لقي الاشقاء الثلاثة مصرعهم.

كان والدى غالبا ما يستدعى للوساطة فى النزاعات الثأرية لما يحظى به من إحترام وسط المجتمع. لم يؤمن ب(*البدال*) ويعنى فى لغة البشتو الثأر, وكان يحاول إقناع الطرفين المتخاصمين بأن أيا منهما لن يفوز بشئ إذا استمرت دائرة العنف، وان الاجدر بهما أن يستمرا فى حياتهم العادية. وتوجد فى قريتنا عائلتان لم يفلح بأقناعهما، وكانتا عالقتين فى نزاع طال امده ولم يعد أحد يذكر كيف بدأ – ربما فجرتة إساءة صغيرة نظرا الى اننا اناس سريعو الغضب. فقد يبدأ شخص ما بالاعتداء على عمه, فما يكون من المعتدى عليه إلا أن يرد الاعتداء بالمثل. وهكذا تستمر الدائرة حتى تهلك حياتهم.

ويعتقد الناس لدينا ان هذا النظام ناجحا, ويقولون ان معدل الجريمة لدينا أقل مما هو علية فى أي مناطق غير بشتونية. ولكننى أرى أنه إن قتل أحدهم أخاك، فلا ينبغى لك قتلة

أو قتل أخيه، وانما بدلا من ذلك ينبغى لك ان تضرب لهم المثل بالعفو والصفح. ومصدر إلهامى هنا هو خان عبدالغفار خان، وهو الرجل الذي يدعوه البعض غاندى الاقليم الحدودى، الذى أدخل فلسفة نبذ العنف فى ثقافتنا.

والامر نفسه يسرى على السرقة. فبعض الاشخاص، مثلى، كشف أمرهم وأقسموا ألا يعودوا الى ذلك مرة أخرى أبدا، لكن آخرين عندما يسرقون يقولون: "لاتوجد مشكلة فى ذلك - إنه مجرد شئ صغير". ولكن فى المرة الثانية سيسرقون ما هو أكبر وفى الثالثة ما هو أكبر وأكبر. وفى بلادى لاتبالى الأغلبية الساحقة من السياسيين بالسرقة، ورغم كونهم أغنياء وكوننا بلدا فقيرا فإنهم لا يكفون عن السلب والنهب، ومعظمهم لا يسدد الضرائب، وهذا قليل من كثير. فهم يأخذون قروضا من بنوك الدولة, ثم لا يردونها، ويحصلون على رشوة مقابل ترسية العقود الحكومية على أصدقاء أو شركات بعينها، ولذلك يملك كثيرون منهم شقق فاخرة فى لندن.

لست أدرى كيف يعيشون مرتاحى الضمير وهم يرون شعبنا يشكو من الجوع أو يجلس فى الظلام بسبب انقطاعات الكهرباء التى لانهاية لها، أو يرون الاطفال غير قادرين على الذهاب الى المدرسة، لأن آباءهم يحتاجون الى عملهم. ويقول والدى إن باكستان لعنت بأكثر مما تحتمله من السياسيين الذين لا يفكرون فى شئ سوى جمع المال. وهم لا يعبؤون بأن الجيش هو الذي يقود الطائرة، ويرضون ان يكونوا خارج قمرة القيادة طالما كانوا يجلسون على مقاعد درجة رجال الاعمال، حيث يسدلون الستائر ويستمتعون بالطعام الشهي والخدمة الممتازة فيما نحن ننسحق تحت وطأة الاوضاع الاقتصادية.

لقد ولدت في دمقراطية ظلت فيها بنازير بوتو ونواز شريف يتبادلان رئاسة الوزراء على مدى عشرة سنوات، دون ان تتمكن أئ من حكومتيهما أن تكمل فترتها ودائما ما تلقى كل منهما باتهامات الفساد علي الاخرى. ولكن بعد سنتين من مولدى عاد جنرالات الجيش للامساك بزمام الامور، وهو ما حدث علي نحو بالغ الإثارة. حتى بدا وكأنه مشهد من فيلم سينمائي. كان نواز شريف يشغل منصب رئيس الوزراء فى ذلك الوقت ونشب خلاف بينه وبين قائد الجيش الجنرال بروبز مشرف انتهى بأعفاء مشرف من منصبه. كان بروبز مشرف وقتئذ على متن إحدى طائرات خطوطنا الباكستانية الوطنية عائدا من سريلانكا. وبسبب تخوفه الشديد من ردة فعل مشرف، حاول نواز شريف منع الطائرة من الهبوط في باكستان، حيث أمر مسؤولي مطار كراتشي بإطفاء أضواء الهبوط

وإيقاف سيارات إطفاء علي مدرج الهبوط للحيلولة دون هبوط الطائرة رغم انها كانت تقل علي متنها أكثر من 200 مسافر آخرين ولم يكن بها ما يكفي من الوقود للوصول الي دولة أخرى. وخلال ساعة تم بث بيان عبر التليفزيون اعلن فيه إقالة مشرف، فنزلت الدبابات في الشوارع واستولت القوات العسكرية على وكالات الاخبار والمطارات. وهاجم القائد المحلى للجيش, الجنرال افتخار, برج المراقبة في كراتشي- كى يفسح المجال أمام طائرة مشرف للهبوط. أمسك مشرف عندئذ بزمام السلطة وألقي بشريف فى زنزانه فى قلعة أتوك. بعض الناس ابتهجوا بذلك وقاموا بتوزيع الحلوى لأن شريف لم يكن محبوبا, لكن والدى بكى لدى سماعه الخبر إذ كان يحسب ان عهد الدكتاتورية العسكرية قد انتهى فى بلادنا. واتهم شريف بالخيانة وأُنقِذ فقط من قبل أصدقائه فى العائلة المالكة السعودية الذين رتبوا منفاه.

كان مشرف هو حاكمنا العسكري الرابع، ومثل حكامنا الطغاة جميعا, فقد استهل عهده بمخاطبة الأمة عبر التليفزيون بعبارة: "*المواطنون الاعزاء*" قبل أن يشن خطبة مسهبة عنيفة على شريف، قائلا ان باكستان في عهده قد "فقدت الشرف والكرامة والاحترام"، ثم تعهد ان ينهى الفساد وأن يتعقب هؤلاء 'المتورطين فى نهب وسلب الثروة الوطنية' وتعهد بأنه سوف يعلن ارصدة البلاد وعوائد الضرائب علي الملأ. ولكن أحدا لم يصدقه فقد فعلها من قبل الجنرال ضياء وتعهد بأنه سيمكث فى السلطة تسعين يوما, ولكنه امضى فيها أكثر من إحدى عشر سنة حتى إغتياله فى حادث تحطم طائرة.

إنها القصة القديمة ذاتها تستعاد المرة تلو المرة, هكذا كان يقول والدي, وقد كان محقا. تعهد مشرف بأن يقضي على النظام الاقطاعي القديم والذي بموجبة تسيطر بضع عشرات من العائلات على البلد برمته, وبأن يفتح المجال أمام وجوه جديدة لدخول المجال السياسي- رغم ذلك, وجدناه يؤلف وزارته من الوجوه القديمة ذاتها. ومرة أخري تم إبعاد بلدنا من دول الكومنولث وأصبح بلدنا مطرودا من قبل المجتمع الدولي, لاسيما وأن الامركيين- كانوا بالفعل قد علقوا معظم مساعداتهم في السنة السابقة عندما أجرينا التجارب النووية, ولكن أصبح الآن الجميع تقريبا يقاطعوننا.

بمثل هذا التاريخ, يمكن للمرء أن يدرك لماذا يعتقد الناس ان فكرة إنضمامنا الى باكستان تعتبر فكرة غير جيدة. وقد دأبت باكستان على ان ترسل لنا كل بضع سنوات نائب مفوض لحكم سوات, تماما مثلما كان يفعل البريطانيون خلال الفترة الاستعمارية. وقد بدا أن هؤلاء المسؤولين البيروقراطيين لا يأتون الى أقليمنا الا للإثراء بكل بساطة, قبل ان يعودوا الى بيوتهم دون أن يعبأوا بتنمية سوات, اعتاد شعبنا على الخنوع الذي فرض علية لانه تحت حكم الوالى لا يقبل توجيه أي انتقاد اليه, وإذا ما أساء له أحد، فأن مصيرة يكون الطرد له ولاسرته من سوات. ولذلك كان المسؤولون الذين يأتون من باكستان أشبه بملوك جدد ولم يكن ثمة أحدا يسألهم. وغالباً ما يشعر كبار السن لدينا بالحنين الى أيام الوالى الاخير- وعندما يتحدث أحدهم عن تلك الحقبة تجده يقول إن الجبال كانت ما زالت مغطاة بالأشجار فيما كانت توجد مدرسة كل خمسة كيلومترات, وكان السيد الوالى يزور الناس شخصيا لحل المشكلات.

بعد الذى حدث مع صافينا، أقسمت ألا أسئ معاملة صديقة مرة أخري. ويقول والدى دائما من المهم ان نعامل الاصدقاء معاملة حسنه, ويقول إنه خلال سنوات الكلية لم يكن لديه نقودا لشراء طعام أو كتب, وكان كثيرون من أصدقائة يساعدونه وانه لم ينس لهم ذلك. أما

أنا فلدى ثلاث صديقات جيدات – صافينا من منطقتنا وسمبل من القرية ومنيبة من المدرسة. كانت منيبة الصديقة المقربة في المدرسة الابتدائية عندما كنا نسكن فى نفس الشارع, وقد أقنعتها بالألتحاق بمدرستنا. وهي فتاة حكيمة, رغم أننا كنا نختلف كثيرا معا, ولا سيما عندما نخرج فى رحلات مدرسية. نشأت منيبة فى أسرة كبيرة تضم ثلاثة شقيقات وأربعة أشقاء. كنت اعتبرها شقيقتى الكبرى رغم أني أكبرها بستة أشهر. ومنيبة هي من ترسي القواعد التي أحاول اتباعها, ولا تخبئ أي منا سرا عن الأخرى ولانقشي سرا بيننا لأي أحد آخر. لم تكن تحب ان اتكلم مع فتيات أخريات غيرها, وتقول إن علينا أن نكون حذرين عند الإختلاط بأئ فتيات أخريات سيئات التربية أو السمعة. وتردد دائما "لدى أربعة أشقاء، وإذا ارتكبت أتفه الاخطاء فسوف يمنعوني من الذهاب الى المدرسة".

كنت أحرص حرصا شديداعلى ألا أخيب رجاء والديَّ حتي أنني كنت أقضي الحوائج لكل شخص. وذات يوم طلب مني جيراننا أن أشتري لهم بعض الشعير من السوق. وفي الطريق الى السوق صدمنى صبى يركب دراجة هوائية فجرح كتفى الأيسر جرحا آلمني حتى دمعت عيناى, لكنى رغم ذلك واصلت طريقي واشتريت الشعير، وسلمته ألى جيراننا ثم عدت إلى المنزل. عندئذ فقط أخذت أبكي. وبعد ذلك بفترة وجيزة وجدت الطريق الأمثل لكسب احترام والدي, فقد علقت لوحات للاشتراك فى مسابقة في الخطابة وقررنا أنا ومنيبة التقدم للمسابقة. تذكرت قصة والدي عندما نال إعجاب جدى وتمنيت لو فعلت مثله.

عندما علمت بموضوع المسابقة, لم أصدق عيني. فقد كان الموضوع هو (الصدق هو احسن سياسة).

كانت الممارسة الوحيدة المتاحه لنا هى إلقاء الأشعار فى طابور الصباح, وكانت معنا في المدرسة فتاة تكبرني اسمها فاطمة تجيد الخطابة إجادة بالغة. كانت جميلة وتلقي كلماتها بطريقة فيها الكثير من الحركة. ويمكنها التحدث بثقة في حضور مئات الاشخاص وتجعلهم ينصتوا لكل كلمة تنطق بها. كنا أنا ومنيبه نتمنى لأن نكون مثلها وقمنا بدراستها من كثب.

فى ثقافتنا عادة ما يكتب لنا آباؤونا الكلمات أو أعمامنا أو معلمونا. وغالبا ما تكتب بالانكليزية أو بالاردية, وليس بلغة البشتو المحلية. وكنا نعتقد ان من يلقى كلمتة بالإنكليزية يعتبر أكثر ذكاء, وهى بالتأكيد نظرة خاطئة. لايهم أئ لغة ستختار المهم هو الكلمات التي تستخدمها في التعبير عن نفسك. كان أحد أشقاء منيبة هو من كتب لها كلماتها, فأقتبس أبياتا شعرية جميلة من قصائد للعلامة محمد اقبال, وهو شاعرنا القومي. أما أنا فقد كتب لى والدي كلمتي. وفيها جادل بأنه إن كان المرء يريد أن يفعل الخير, ولكنه يفعله بطريقة سيئة، فإن ما يفعله يصبح سيئا. وبالقياس نفسه، إذا اخترت طريقة حسنة لعمل شئ سيئ, فأن ما تفعله يظل سيئا. وقد إختتمها بكلمات لأبراهام لنكولن مفادها أن: "الرسوب أشرف من النجاح عن طريق الغش".

وفي اليوم المحدد للمسابقة لم يشارك سوى ثمان أو تسعة أولاد وبنات. ألقت منيبة القاء جيدا واحتفظت بثباتها وكانت كلماتها أكثر عاطفية وشعرية من كلمتى, وإن كانت كلمتي تحمل فى مضمونها رسالة أفضل. انتابنى توتر شديد قبل ان القي كلمتي, حتى إننى كنت أرتجف من شدة الخوف, وزاد من توترى أن جدى حضر لمشاهدتي وكنت أدرك أنه يريد لى أن افوز بامسابقة الامر الذى جعانى أكثر توترا. تذكرت نصيحة والدي لى بضرورة أخذ نفسا عميقا قبل بدء الإلقاء, ولكن ما أن رأيت العيون كلها مسلطة على حتي تعجلت البداية بدأت عيناى تزيغان من موضوع القراءة فيما كانت الاوراق المكتوبة تتراقص فى يدى المرتعشتين, ولكننى عندما اختتمت بكلمات لينكولن، نظرت إلى والدى فوجدتة يبتسم.

عندما أعلن المحكمون النتائج فى نهاية المسابقة, فازت منيبة بالمركز الاول فيما كنت أنا فى المركز الثانى.

لم يهمنى ذالك, لقد كتب لنكون أيضا فى رسالته الى معلم ولده, "علمه كيف يخسر- باحترام" لقد اعتدت أن أفوز بالمركز الاول في صفى المدرسى- ولكنى أدركت أنة حتى لو حققت الفوز ثلاث مرات أو أربع, فليس من الضرورى أن يكون الانتصار التالى من نصيبك طالما أنك لم تحاول وتجتهد وأدركت أيضا أنه من الاجدر أحيانا بالمرء أن يتولى شأنه بنفسه. وهكذا بدأت أكتب كلماتى بنفسى- وأغير من طريقة القائي كي تنبع من قلبي وليس من الورقة.

الفصل الثالث

أطفال جبل القمامة

عندما بدأت مدرسة كوشال تستقطب مزيدا من التلاميذ, انتقلنا مرة أخرى من مكان سكننا وأصبحنا أخيرا نمتلك جهاز تلفزيون. كان برنامجى المفضل هو "*شاكا لاكا* بوم بوم" وهو مسلسل أطفال هندي يدور حول فتى اسمه سانجو وبحوزته قلم رصاص سحري يحول كل ما يرسمه به إلى حقيقة . فإذا رسم نباتا أو رجل شرطة, يظهر أمامه نبات أو رجل شرطة عبر

القوة السحرية. وإذا رسم من غير قصد ثعبانا, فإن بوسعة ان يمحوة فيختفى الثعبان. كان يستخدم قلمه الرصاص في مساعدة الناس - بل لقد أنقذ والدية من أيدى عصابة - ولذلك كان هذا القلم هو ما أريدة أكثر من أي شيء آخر فى العالم.

كنت خلال الليل أدعو الله قائلة: "اللهم أعطنى قلم سانجو. لن أخبر بذلك أحد. أتركه لى فى خزانة ملابسي. سوف أستخدمه لادخال السرور على قلب كل إنسان" كنت كل ما انتهيب من صلاتى, ذهبت لتفحص خزانتى, لكنى لم أجد قلم الرصاس قط. كنت أعرف جيدا من الذى سوف أساعده أولا. كانت هناك قطعة أرض مهجورة عبر شارعنا الجديد إستخدمها الناس مكان لتفريغ القمامة, لاسيما وأن خدمة جمع القمامة غير متوفرة فى سوات. وسرعان ما اصبحت المخلفات جبلا من القمامة. لم أكن أحب السير بالقرب منها بسبب ما ينبعث منها من رائحة كريهة. وأحيانا كنا نلمح فئران تجري خلالها فيما تحلق فوقها غربان.

وذات يوم لم يكن أخواني فى البيت وطلبت مني والدتي أن ألقي بعض قشر البطاطا وقشر البيض في مكان تفريغ القمامة. اقفلت أنفي فيما كنت أقترب ورحت أهش الذباب عن وجهى وأتوخى الحذر خشية أن أطأ بحذائى الجميل شيئا كريها. وبينما كنت أرمي بالقمامة فوق جبل الطعام المتعفن, رأيت شيئا يتحرك فقفزت. تبين إنها فتاة في مثل عمري، ولكن شعرها متلبد وبشرتها مغطاة باقرح حتى خلتها لاول وهلة "شاشاكا" وهي المرأة القذرة التي كانوا يخيفوننا بها فى حكايات القرية الخيالية كي نستحم. كانت الفتاة تحمل شوالا كبيرا وتفرز القمامة الى أكوام، فهذه كوم للعلب المعدنة, وتلك لاغطية الزجاجات, وأخرى للزجاج وكومة أخيرة للورق. وبالقرب منها رأيت صبية آخرين ينقبون فى الكومة عن المعادن مستخدمين مغناطيسات مثبتة فى قضبان. كنت أرغب في التحدث الى هؤلاء الاطفال, ولكن خوفى الشديد منعنى من ذلك.

فى تلك الظهيرة عندما عاد والدي الي البيت قادما من المدرسة, أخبرته بشأن الاطفال جامعى القمامة ورجوته أن يصحبنى ليلقى نظرة عليهم. حاول التحدث الى بعضهم, ولكنهم لاذو بالفرار أوضح لى بأن هؤلاء الأطفال سوف يبيعون ماقاموا بفرزه ببضع روبيات إلى متجر القمامة الذي يقوم بدوره ببيعها ببعض الربح. وفى الطريق الى البيت رأيت الدموع نزلت من عينيه.

طلبت منه: "أبى لابد أن تمنحهم أماكن مجانية فى مدرستك" فضحك. ولكن لحسن الحظ أقنعناه مسبقا انا وأمى بأن يمنح مجموعة من الفتيات بعض الاماكن المجانية.

رعم أن والدتي لم تحظ بأئ قدر من التعليم, فقد كانت الشخصية العملية التي تطلع بتنفيذ المهام العملية داخل الاسرة فيما يقوم والدى بدور المتكلم. كانت كثيرا ما توجد خارج المنزل لمساعدة الآخرين. وهو ما كان يثير غضب والدي أحيانا عندما يعود الى البيت وقت الغداء, فينادى: "تور بكاى, أنا في البيت" ولايوجد غداء في إنتظاره, لكنه لايلبث أن يتبين أنها ذهبت الى المستشفى كي تزور مريضا, أو كانت تساعد أسرة ما، فيزول عنه الغضب. وفي أحيان أخرى كان يجدها خارج المنزل تشتري ملابس من سوق (تشينا بازار), وهذة مسألة أخرى.

كانت والدتي أينما رحلنا تملأ البيت ضيوفا. فقد شاركت غرفتى مع ابنة عمي أنيسة عندما قدمت من القرية للعيش معنا كى تتمكن من الإلتحاق بالمدرسة، ومع فتاة أخرى أسمها شاهناز كانت والدتها سلطانة قد عملت فى السابق لدينا فى المنزل. كانت شهناز قد اضطرت هي وشقيقة لها للعمل فى جمع القمامة بعد وفاة والدهما الذى تركهما فى فقر شديد, وكان أحد أشقائها يعاني مرضا عقليا يدفعه لان يأتى أفعالا غريبة مثل إشعال النيران في ملابسهما أو

بيع مروحة كهربائية كنا قد أعطيناها لهم لتبريد المنزل. ورغم أن سلطانة كانت ذات طبع حاد جعل والدتي تقرر الا تبقيها فى المنزل فقد خصص لها والدي إعانة مالية صغيرة ودبر مكان لشهناز وشقيقها الآخر فى مدرسته. لم تكن شهناز قد ذهبت الى المدرسة قط, ولذلك فقد سجلت فى صف دراسي أقل منى بسنتين رغم أنها تكبرنى بسنتين, ومن ثم جاءت للعيش معنا كي أساعدها في دروسها.

كانت هناك أيضا نورية, التي قامت أمها خارو ببعض أعمال الغسيل والتنظيف فى بيتنا, واليشبا, وهي إحدى بنات خالدة, وهي امرأة اعتادت أن تساعد والدتي في الطبخ.وكانت خالدة قد بيعت عبر الزواج الي رجل عجوز اعتاد ان يضربها ضربا مبرحا حتى انتهى بها الامر الى الهروب منه مصطحبة بناتها الثلاثة ولم تكن عائلتها لتستقبلها نظرا الى مايمكن أن تجلبة المرأة التى تهجر زوجها من عار لاسرتها. فقد اضطرت بناتها خلال فترة للعمل فى جمع القمامة للبقاء على قيد الحياة. وتبدو حكايتها كأنها مستوحاة من الروايات التي بدأت قراءتها.

تمت فى ذلك الوقت توسعة المدرسة توسعة كبيرة وأضحت تضم ثلاثة مبان – المبنى الأصلي في لانديكاس وكان يضم المدرسة الابتدائية, ثم مدرسة ثانوية للبنات فى شارع يحيا وأخرى للبنين وبها حديقة كبيرة من الازهار بالقرب من أطلال المعبد البوذي. كان لدينا زهاء ال 800 طالب إجمالا, ورغم أن المدرسة لم تحقق عائدا, إلا أن والدى اعتاد أن يقدم أكثر من مائة مكان مجانا. وقد منح أحد هذه الاماكن لولد كان والده, واسمه شرفات علي, قد ساعد والدى عندما كان طالبا فى الكلية ولا يملك فلسا واحدا. فقد كانا صديقين منذ أيام القرية واعتاد شرفات علي الذي كان يعمل في شركة الكهرباء أن يقدم لوالدى بضع مئات من الروبيات كلما تيسر له ذلك. وقد شعر والدي بالسعادة كونه استطاع ان يرد له إحسانه فى ابنه. ومنح مكانا آخر في صفي لفتاة اسمها كوثر, كان والدها يعمل في تطريز الملابس والشالات – وهى حرفة تشتهر بها منطقتنا. ولمعرفتي بأنها لا تستطيع تحمل رسوم الرحلات المدرسية, فقد كنت أسدد لها الرسوم من مصروف جيبى الخاص كلما خرجنا في إحدى الرحلات المدرسية الى الجبال.

لم يكن توفير أماكن مجانية لأطفال الفقراء يتسبب في خسارة رسوم تسجيلهم فحسب, بل كان بعض أولياء الامور ميسورى الحال يخرجون أطفالهم من المدرسة عندما يصل إلى علمهم أنهم يجلسون فى الصفوف نفسها مع أبناء وبنات أناس ينظفون لهم بيوتهم أو يخيطون لهم ثيابهم. فكانوا يرونة أمرا مشينا أن يختلط أبناؤهم مع أبناء العائلات الفقيرة. وكانت والدتي تقول إنه يصعب على أولاد الفقراء أن يتعلموا طالما كانوا لايتغذون غذاء صحيا فى بيوتهم, ولذلك كانت بعض الفتيات يجئن الى منزلنا للإفطار. وهو ما يجعل أبي يقول مازحاً: "إن بيتنا قد أصبح داخلية".

كان وجود أشخاص كثيرين حولى يجعل المذاكرة صعبة بالنسبة لى. ولذلك سررت عندما أصبح لى غرفتى الخاصة. بل إن والدى أشترى لى منضدة زينة للمذاكرة عليها. ولكن بعدئذ باتت تشاركنى في الغرفة فتاتان أخريان. كنت أبكى وأقول: "أريد مكانا لى!" ولكن ما ألبث أن ينتابنى شعور بالذنب, عندما أعرف أننا أسرة محظوظة. كنت أعود بتفكيرى الي الاطفال الذين يعملون وسط جبل من القمامة. وقد ظلت صورة الفتاة ذات الوجة المغطى بالبثور لدى خروجها من القمامة ماثلة أمام عينى, وظللت ألح على والدي أن يمنح هؤلاء الأطفال أماكن في مدرستنا.

حاول والدى ان يوضح لى أن هؤلاء الاطفال يعيلون أسرا, وأنهم إذا ما ذهبوا إلى المدرسة, حتى ولو مجانا, فسوف تتضور أسرهم جوعا. لكن والدى ورغم ذلك أقنع ثريا محسنا أسمة أزادى خان, بأن يدعم كتيبا يعتزم إصدارة تحت عنوان, "*أليس التعليم حقا لهؤلاء الاطفال*؟" طبع والدى آلاف النسخ من هذا الكتيب, وراح يوزعه خلال الاجتماعات المحلية وفي أنحاء المدينة.

أصبح والدي شخصية معروفة فى سوات. ورغم أنه لم يكن خانا أو ثريا, فقد أضحى مسموع الكلمة, وكان إذا تحدث أصغى الناس إلى كلامه خلال الندوات وورش العمل لانهم كانوا يعلمون ان لديه شئ هام ليقوله, و لا يهاب انتقاد السلطات بما فيها الجيش, الذى كان عندئذ يمسك بزمام السلطة في البلاد. وقد بلغ حدا أصبح معروفا لدى الجيش أيضا, وحدثة أصدقاء بأن القائد المحلى للجيش قد وصفه أمام ملأ من الناس بأنه "*مهلك*". لم يعرف والدى ما الذى يعنيه العميد بالضبط بهذا الوصف, ولكن فى بلادنا حيث يملك الجيش نفوذا واسعا, لم يكن يبشر ذلك بخير.

لم يكره والدي شيئا مثل كراهيته لما يعرف ب "المدارس الوهمية". كان أصحاب النفوذ في المناطق النائية يأخذون الاموال من الحكومة بذريعة بناء مدارس لم يدرس فيها تلميذ واحد, إذ اعتادوا أن يستخدموا هذة المباني *لعقد مجالسهم* أو لحفظ ماشيتهم. وتبين له أن شخصا كان يحصل على معاش معلم رغم أنه لم يعمل بالتدريس يوما واحدا فى حياته. وبجانب الفساد والحكومة السيئة، فقد أصبح الشاغل الرئيس لوالدى فى تلك الايام هي البيئة. شهدت منجورا نموا سريعا – أصبح هناك حوالى 175 الفا يعدونها بلدهم – جعل هواها الذي كان نقيا ذات يوم يصبح شديد التلوث بسبب عوادم المركبات ونيران الطبخ، فالأشجار الجميلة التي تعلو تلالنا وجبالنا تعرضت لقطع جائر كى تستخدم في خشب البناء. ولم يعد ماء الشرب الآمن متاحا إلا لحوالي نصف سكان المدينة, أما الصرف الصحى فلم يكن متوفرا لدي الاغلبية التى نحن منها. ولذلك أسس هو وأصدقاؤة تجمع ما أسموه "مجلس السلم العالمي" الذى ورغم أسمه, كان يضطلع بمهام ذات طابع محلى كان أسم المجلس يبعث على السخرية والضحك, وكان أبى كثيرا ما يضحك لهذا الاسم, ولكنه تبنى هدفا جادا هو الحفاظ على بيئة سوات وتعزيز السلم والتعليم بين السكان المحليين.

كان والدي يحب كتابة الشعر أيضا فكتب عن الحب أحيانا, ولكن قصائدة تدور غالبا حول مواضيع مثيرة للجدل مثل جرائم الشرف وحقوق المرأة. وذات مرة زار أفغانستان للمشاركة فى مهرجان شعرى فى فندق إنتركونتيننتال كابول, وألقى قصيدة عن السلام. وذكر أنها القصيدة الاكثر الهاما فى الخطبة الختامية, وطالبه بعض الحضور أن يكرر على مسامعهم مقاطع لبعض الأبيات, وهم يهتفون"*واها واها*" عندما يعجبهم بيتا معينا, وهى عبارة استحسان تشبه "برافو" على نحو ما. حتى جدي إمتلأ فخرا بذلك. واعتاد أن يقول له: "يابني أتمنى أن تصبح نجما فى سماء المعرفة".

كان الفخر يملؤنا نحن أيضا، ولكننا لم نعد نراه كثيرا بعد علو شأنه. لذلك أصبحت والدتى هى من تقصد السوق لشراء الثياب, وإذا مرضنا تصحبنا الى المستشفى, رغم أن ثقافتنا, خاصة لدى هؤلاء القادمين من القرى لا تجيز إضطلاع المرأة وحدها بهذه الأعمال. ولذلك كان أحد أبناء شقيقة والدي يصحبنا في قضاء مثل هذة الحوائج. أما عندما يوجد والدي في المنزل, فكان هو وأصدقاؤه يفترشون السطح وقت الغسق وينهمكون في أحاديث

السياسة الى ما لا نهاية. وكانت أحاديث الحادي عشر من سبتمبر في واقع الامر هى موضوع كل حديث. ربما تكون هذه الأحداث غيرت العالم برمته, ولكننا كنا واقعين في وسط كل الاحداث, فقد كان أسامة بن لادن, زعيم تنظيم القاعدة يعيش في قندهار عندما تعرض مركز التجارة العالمى للهجوم, ما دفع بأميركا لإرسال الآلاف من قواتها العسكرية ألى أفغانستان لاعتقاله واسقاط حكم حركة طالبان التي وفرت له الحماية.

في باكستان كنا لا نزال في ظل الدكتاتورية، ولكن أميركا أصبحت بحاجة الى مساعدتنا, تماما كما كان الحال في ثمانينيات القرن العشرين عندما إحتاجتنا في محاربة الروس في أفغانستان. وكما أن الغزو الروسى لأفغانستان قد بدل حال الجنرال ضياء الحق تماما, فأن أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد خلصت الجنرال مشرف من العزلة الدولية التى فرضت عليه، فأصبح فجأة يدعى الى البيت الأبيض لمقابلة جورج دبليو بوش, والى 10 داوننج ستريت لمقابلة طوني بلير, لكن رغم ذلك ظلت ثمة مشكلة كبيرة قائمة, وهي أن جهاز الاستخبارات الباكستاني "أى اس أي" هو من أنشأ حركة الطالبان فى واقع الامر. وكان كثير من ضباط هذا الجهاز من المقربين لقادتها, ويقيمون علاقة معهم منذ سنوات, بل ويشاركونهم أفكارهم. وكان العقيد إمام فى ال"آي أس آي" يفاخر بكونه قد درب 90000 مقاتل من طالبان, بل وأصبح القنصل العام لبكستان في هيرات عندما كانت السيطرة لنظام طالبان على أفغانستان.

لم نكن من المتحمسين لوجود طالبان, خاصة بعدما سمعنا أنهم فجروا مدارس بنات ونسفوا تماثيل بوذا العملاقة – كان لدينا العديد من تماثيل بودا الخاصة بنا والتى كنا نفخر بها, ولكن كثيرا من البشتون لم يحلو لهم القصف الذى تتعرض له أفغانستان أو حقيقة أن باكستان كانت تساعد الولايات المتحدة الاميريكية, حتى وإن أقتصر ذلك علي السماح لهم بعبور مجالنا الجوي وقطع إمدادات السلاح عن طالبان. ولم نكن نعلم أن مشرف يسمح للأميركيين باستخدام مطاراتنا أيضا.

اعتبر بعض رجال الدين لدينا أسامة ابن لادن بطلا. واصبح بوسع المرء أن يشتري صور أسامة من السوق وهو يمتطي صهوة جواد أبيض وعلب الحلوى التي تحمل صورته. وقد قال رجال الدين هؤلاء ان فى أحداث الحادى عشر من سبتمبر ثأرا من الولايات المتحدة الاميركية لما تقترفة من جرائم ضد شعوب أخرى حول العالم, وهم يغضون الطرف عن كون هؤلاء الذين قضوا فى الهجوم علي مركز التجارة العالمي هم من المدنيين الابرياء ولا يجوز

تحميلهم وزر السياسة الاميركية, كما يتناسون أن الإسلام يحرم القتل. ولأن الناس لدينا يؤمنون بوجود مؤامرات وراء كل شئ، فقد جادل كثيرون بأن الهجمات إنما دبرها يهود كي يجعلوا منها ذريعة لاميركا لتشن من خلالها الحرب على العالم الإسلامي. وقد نشرت بعض صحفنا تقارير مفادها أن أحدا من اليهود لم يتوجه إلى عمله فى مركز االتجارة العالمي ذلك اليوم. وهو ما علق عليه أبي بأنه هراء.

وقد أخبر مشرف شعبنا بأنة لم يكن لديه خيار عدا التعاون مع الاميركيين. وقال إنهم أخبروه"إما أن تكون معنا, وإما أن تكون مع الارهابيين", وهددوا "بأن يعيدونا الى العصر الحجرى" إذا وقفنا ضدهم. ولكننا لم نكن نتعاون تعاونا كاملا, إذ ظل مسؤولو جهاز الاستخبارات يسلحون مقاتلى طالبان ويوفرون لقادتهم الملاذ فى كويتا, بل وأقنعوا الامركيين بالسماح لهم بنقل مئات المقاتلين الباكستانيين من شمال أفغانستان. وقد طلب رئيس جهاز الاستخبارات من الاميركيين أن يعلقوا هجماتهم في أفغانستان حتي يذهب الي قندهار ويطلب من الملا عمر زعيم طالبان أن يسلم بن لادن, لكنه بدلا من ذلك قدم المساعدة لطالبان.

وفي إقليمنا أصدر مولانا صوفى محمد, الذى سبق وأن حارب الروس فى أفغانستان, فتوى ضد الولايات المتحدة. وكان قد جمع حشدا كبيرا فى ملاكند, حيث حارب أجدادنا البريطانيين. لم تمنعه الحكومة الباكستانية من ذلك, بل إن حاكم إقليمنا أجاز فيه لكل من يريد القتال ضد قوات حلف شمال الاطلنطى "الناتو" فى أفغانستان له الحرية بعمل ذلك. وقد ذهب زهاء 12 ألفا من شباب سوات لمساعدة طالبان. ولم يعد منهم الكثير مرة أخرى. والارجح أنهم قتلوا هناك, ولانعدام الدليل على وفاتهم, كان يتعذر إعلان زوجاتهم أرامل. وهو وضع بالغ القسوة عليهن. وكان صهر وحيد زمان وهو أحد الاصدقاء المقربين لوالدي من بين الكثيرين الذين ذهبوا الى أفغانستان. وما زالت زوجاتهم وأطفالهم ينتظرون عودتهم. أذكر أنني قمت بزيارتهم وشعرت بما يشعرون به من حرقة وتشوق. ومع ذلك فقد بقى كل ذلك بعيدا عن وادينا الذى كان يشبه البستان الهادئ. كانت أفغانستان تبعد عنا بما يقارب المائة ميل, ولكن حتى تصل الى هناك يتعين عليك أن تعبر منطقة "باجور", وهى إحدى المناطق القبلية الواقعة بين باكستان وحدود أفغانستان.

وقد فر ابن لادن ورفاقه إلى الجبال البيضاء في تورا بورا الواقعة شرق أفغانستان، حيث استطاع ان يبني- شبكة من الانفاق عندما كان يحارب الروس. وقد هربوا خلال هذة الأنفاق وصعدوا الجبال فى "كرام" وهي منطقة قبلية أخرى. والشئ الذي لم نكن نعرفه وقتها هو أن ابن لادن قد قدم الى سوات وأقام في قرية نائيه مدة عام، مستفيدا من التقاليد البشتونية في الضيافة.

كان باستطاعة أي أحد اكتشاف أن مشرف يلعب على الحبلين، فهو يحصل على الاموال من الاميركيين و يواصل تقديم الدعم للجهاديين – الذين يعتبرهم جهاز الاستخبارات "أصولا استراتيجية". ويقول الاميريكيون انهم قدموا لباكستان مليارات الدولارات لدعم حملتهم ضد القاعدة, ولكننا لم نر فلسا واحدا. فقد شيد مشرف قصرا يطل على بحيرة روال فى إسلام أباد وأشترى شقة فى لندن. ومن حين لآخر كان يصلنا مسؤول أميريكى يقول إننا لانفعل ما يكفي ثم فجأة نجد صيدا كبيرا تم القبض عليه. فقد وجد خالد شيخ محمد, وهو العقل المدبر لاحداث الحادى عشر- من سبتمبر, فى منزل لا يبعد سوى ميل واحد عن المقر الرسمي لقائد الجيش في روالبندي. ولكن الرئيس بوش ظل يثني- علي مشرف, ويدعوه الى واشنطن ويصفه بأنة رفيقه. كان والدي وأصدقاؤه يبدون تقزَزهم مما يحدث ، ويقولون إن الأميركيين يفضلون دائماً التعامل مع حكام طغاة في باكستان .

منذ سن باكرة بدأ اهتمامي بالسياسة ، فكنت أجلس على ركبة والدي أستمع لكل النقاش الذى يدور بينه وبين أصدقائه. ولكني كنت أكثر اهتماماً بالوضع المحلي، وعلى وجه التحديد بوضع شارعنا. فقد أخبرت أصدقائي في المدرسة بشأن أطفال جبل القمامة وأنه يجب علينا أن نساعد. لم يُبدِ الجميع رغبة في ذلك، إذ قالوا إن هؤلاء الأطفال قذرين وربما يحملون أمراضاً، فضلاً عن أن آبائهم لن يرضوا لهم بالذهاب الى مدرسة تضم مثل هؤلاء الأطفال. وقالوا أيضاً انه ليس من شأننا ان نجد حلاً لهذه المشكلة. لم أوافقهم الراي في ذلك: "يمكننا أن نجلس نتفرج ونتمنى- أن تساعدهم الحكومة، ولكن الحكومة لن تفعل. إذا استطعت أن أساعد طفلاً او اثنين وقامت أسرة اخرى بمساعدة طفل او اثنين فعندئذٍ بوسعنا أن نساعدهم جميعاً"

كنت أدرك أنه لا طائل من مناشدة مشرف. ومن واقع تجربتي ، اذا كان والدي لا يستطيع المساعدة في أمور مثل هذه، فانه ليس أمامي سوى خيار واحد. وهو أن اكتب رسالة إلى الله. كتبت أقول: "إلهي الكريم، أعرف أنك ترى كل شئ، ولكن هناك اشياء كثيرة للغاية ربما تُنسى أحياناً، ولا سيما الآن في ظل القصف الذي تتعرض له أفغانستان ولكني لا أعتقد انه سوف يرضيك اذا رايت أطفالاً في شارعنا يعيشون على مكان تجميع قمامة. إلهي، امنحني القوة والشجاعة واجعلني مثالية لانني أريد ان اجعل هذا العالم مثالياً. ملالا".

كانت المشكلة هي أنني لا أعرف كيفية الوصول إليه . وكنت أظنُ أحياناً أنه يتعين علي ان احفر عميقاً في الارض، ولذلك دفنت الرسالة أول مرة في الحديقة ثم رايت انها سوف تتلف ولذلك وضعتها في كيس من البلاستيك. ولكن بدا ذلك بلا جدوى .

وبما أننا نحب ان نضع النصوص المقدسة في المياه الجارية، فقد قمت بلف الرسالة، وربطها على قطعة خشب ووضعت فوقها نبات هندباء برية، ثم جعلتها تطفو فوق مياه المجرى الذي يتدفق عبر نهر سوات. بالتاكيد سوف يجدها الله هناك.

الفصل الرابع

المفتي الذي سعى لغلق مدرستنا

أمام مدرستنا مباشرة في شارع خوشال، حيث ولدتُ كان يوجد منزل يعود الى رجل دين طويل القامة وسيم الملامح وعائلته .. كان اسمه غلام الله وكان يَعُد نفسه "مفتياً". والتي تعني انه عالم وسلطة في القانون الاسلامي وغم ان والدي كان يتذمر من كون كل من لبس عمامة اسمى نفسه "*مولانا*" او "*مُفتياً*". اصبحت المدرسة تعمل جيدا وتحقق عائداً، وراح والدي ينشئ استقبالاً رائعاً للمدرسة الثانوية للبنين يزينه مدخل محدب. ولأول مرة اصبح

بوسع والدتي ان تشتري ملابس جميلة، بل وحتى تطلب طعاماً جاهزاً مثلما حلمت في الماضي- وهي في القرية ولكن "*المفتي*" كان طول الوقت يرصد ما يجري. كان يرصد الفتيات لدى دخولهن وخروجهن من المدرسة كل يوم وهو ما أثار غضبه، خاصة ان بعض الفتيات كنَّ في سن المراهقة. قال والدي ذات يوم: "مولانا لديه عين سيئة علينا" وكان على حق.

بعد فترة وجيزة ذهب "المفتي" الى مالكة بناية المدرسة وقال لها: "ضياء الدين يدير مدرسة مخالفة للشرع في بنايتك ويجلب العار الى المحلة (المنطقة). هؤلاء الفتيات ينبغي لهن ان يحتجبن ويبقين داخل بيوتهن "واضاف قائلاً:" استعيدي بنايتك منه. وسوف أستأجرها لمدرستي الدينية. اذا اخذتيها منه، فسوف ادفع لك قيمة الايجار فوراً، فضلاً عما ستنالينه من ثواب فى الآخرة".

رفضت السيدة طلبه وجاء ابنها الى والدي سراً وحذره قائلاً: "مولانا هذا يسعى لتشويه صورتك. لن نعطيه البناية ولكن خذ حذرك".

غضب ابي لذلك وقال: "مثلما نقول ان نصف طبيب يمثل خطراً على حياة الفرد، فان الملا غير المتعلم تماما يمثل خطراً على الدين".

إنني أفخر بان بلدي قد تاسس باعتباره اول وطن للمسلمين في العالم، بيد اننا ما زلنا غير متفقين على ما يعنيه ذلك. ورغم ان القران يعلمنا الصبر، فاننا على الارجح قد نسينا هذه الكلمة واصبح الاسلام لدينا يعنى- بقاء المرأة في المنزل فى مجلس النساء وارتدائها للبرقع فيما يخرج الرجال للجهاد، ولدينا في باكستان مسارات اسلامية كثيرة. وكان محمد علي جناح مؤسس دولتنا يهدف للحصول على اعتراف بحقوق المسلمين في الهند، ولكن الاغلبية في الهند كانت تعتنق الهندوسية. فكان الامر وكان ثمة عداء نشب بين شقيقين واتفقا ان يعيشا في منزلين منفصلين. ولذلك قُسمت الهند البريطانية في أغسطس من العام 1947، وولد من ذلك دولة مسلمة مستقله. وهو التقسيم الذي بلغ من الدموية والعنف حداً غير- مسبوق، عندما عبر ملايين- المسلمين الحدود الجديدة قادمين من الهند، وهاجرالهندوس في الاتجاه المعاكس. فقد أسفرت محاولات العبور من الاتجاهين عن مقتل مليوني شخص تقريباً، وذُبح كثيرون في القطارات التي كانت تصل الى لاهور ودلهي محملة بالجثث الملطخة بالدماء. وكان جدي قد افلت بأعجوبة من الموت خلال اعمال الشغب عندما هاجم الهندوس قطاراً كان

يستغلة وهو في طريقه الى منزلة قادماً من دلهي حيث كان يدرس. والآن اصبحنا دولة تضم 180 مليون نسمة، يمثل المسلمون 96 % منهم، ولدينا مليوني مسيحي ً تقريباً واكثر من مليوني شخص يدينون بالأحمدية التي يقول اتباعها انهم مسلمون فيما تنفي عنهم الحكومة تلك الصفة. وما يؤسف له هو ان تلك الاقليات كثيراً ما تتعرض للاعتداءات.

عاش جناح سنوات شبابه في لندن حيث تدرب للعمل في مهنة المحاماة . وكان يحلم بارض تقوم على التسامح، وقد داب الناس لدينا على ترديد كلمته الشهيرة التي القاها قبل بضعة ايام من الاستقلال: "لكم الحرية في ان تذهبوا الى معابدكم ، ولكم الحرية في ان تذهبوا الى مساجدكم والى اي مكان اخر للعبادة في دولة باكستان. يمكنكم الانتماء الى اي دين او طائفة او عقيدة فذلك ليس من شان الدولة" . وبحسب والدي فإن المشكلة هي أن جناح كان يفاوض من أجل الحصول على قطعة أرض لنا وليس على دولة، مات بمرض السلّ بعد سنة واحدة من تأسيس باكستان ومنذ ذلك الحين لم يتوقف القتال عندنا، خضنا ثلاثة حروب ضد الهند ونعيش ما يبدوا أنه حالة من الاقتتال الداخلي الذي لا يتوقف.

ونحن المسلمين ننقسم ما بين سنة وشيعة، رغم اننا نشترك في المعتقدات الاساسية والقرأن الكريم، فنحن نختلف حول أي الأشخاص كان أحق بخلافة النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي توفى في القرن السابع، فقد وقع الاختيار على ابي ابكر ليكون هو الخليفه، إذ كان هو الصديق المقرّب للنبي ومستشاره، وهو من اختاره ليؤم المسلمين في الصلاة وهو على فراش الموت. ومعنى- كلمة (سنى) فى اللغة العربية تعنى- الشخص الذى يتبع تقاليد النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولكن فئة صغيرة ارتأت أن الخلافة ينبغي لها أن تبقى داخل آل البيت النبوي وان علي بن ابي طالب، زوج ابنته وابن عمه، كان هو الأحق بها. وقد أصبحوا يُعرفون باسم ((الشيعة)) وهي صيغة مختصرة ل " شيعة علي".

وفي كل عام يقوم الشيعة باحياء ذكرى مقتل الحسين بن علي، حفيد النبي، في معركة كربلاء في سنة 680 ميلادية عبر طقوس تسمى محرم حيث يضربون أنفسهم خلالها بسلاسل من حديد أو بأنصال السيوف حتى تغرق الشوارع بالدماء. ولدي والدي صديق شيعي المذهب وهو يذرف الدمع كلما تحدث عن مقتل الحسين في كربلاء. وتنتابه مشاعر جياشة عندئذٍ حتى يخال المرء أن هذه الواقعة قد حدثت عشية أمس، وليس قبل أكثر من

1300 سنة. وقد كان مؤسس باكستان شيعي المذهب ، كما أن والدة بنازير بوتو شيعية المذهب من إيران.

و معظم الباكستانيين هم من المسلمين السنة مثلنا حيث نمثل أكثر من في 80 المائة من سكانها، ولكننا نعود ونتوزع ضمن المذهب السني نفسه إلى فرق كثيرة. وتعتبر فرقة البرلوية التي سميت على اسم مدرسة دينية تأسست في القرن التاسع عشر في مدينة برلي الواقعة في ولاية أوتار براديش في الهند هي أكبر هذه الفرق بلا منازع. ثم لدينا مجموعة الديوباندي, والتي سميت على اسم مدرسة أخرى اشتهرت في القرن التاسع عشر في أوتاربرايش، وفي هذه المرة في قرية ديوباند. وهؤلاء معروفون بتشددهم البالغ ومعظم مدارسنا الدينية تنتمى إلى هذه الديوباندى. ولدينا أيضاً فرقة أهل الحديث وهم سلفيون، وهي فرقة تسودها تأثيرات عربية وهي أكثر تشدداً من الفرق الأخرى، وهؤلاء هم من يسمّيهم الغرب الاصوليين، وهم لا يقبلون أولياءنا ولا اضرحتنا، واكثر الباكستانيين ينتمون إلى الطرق الصوفية ويتجمعون عند اضرحة شيوخهم للرقص والعبادة. وكل فرق من هذه الفرق تضمَ داخلها فرقا أصغر.

وكان مفتي شارع خوشال عضواً في جماعة التبليغ، وهي جماعة تنتمي إلى فرقة الديوباندي وتعقد ملتقى حاشداً كل عام في مقرها في رايوند، بالقرب من لاهور، ويحضره ملايين الاشخاص. وقد اعتاد آخر حكامنا العسكريين الجنرال ضياء الحق الذهاب إلى هناك. وأصبح التبليغيون في ثمانينيات القرن العشرين، وخلال فترة حكمه، ذوي نفوذ هائل. وكان الكثير من الأئمة الذين يعيّنون للوعظ في الثكنات العسكرية ينتمون إلى جماعة التبليغ، بل وصار ضباط الجيش غالباً ما يحصلون على اجازات للخروج في جولات التبليغ التي تقوم بها الجماعة.

وذات ليلة، وبعد أن أخفق المفتي في اقناع مالكة العقار الذي تشغله المدرسة لألغاء عقد ايجارنا، جمع بعضاً من الاشخاص النافذين وكبار السن في منطقتنا وجاء بهم كوفد الى بيتنا. كان الوفد يضم سبعة اشخاص – بعضهم تبليغيون كبار، وخادم مسجد وجهادي سابق وصاحب متجر – اكتظ بهم منزلنا الصغير.

بدت علامات القلق على والدي ونهرنا كي ندخل الغرفة الاخرى، ولكن المنزل كان صغيراً، وكان بوسعنا أن نسمع كل كلمة: "أنا أمثل العلماء والتبليغيين والطالبان". قال الملا

غلام الله، في اشارة الى جماعتين من العلماء المسلمين وذلك كي يمنح نفسه ثقلاً. وتابع "أنا هنا لأمثل المسلمين ونحن نعتقد مدرسة البنات حرام وكفر، ومن ثم يتحتّم عليك غلقها. فالفتيات لا ينبغي لهن الذهاب إلى المدرسة، بل يبقين في مجالسهن داخل بيوتهن. إنّ كل فتاة يجب أن تحظى بحرمة وخصوصية بالغتين، وهذا هو السبب في ان القرآن لم يأتِ على ذكر أي امرة فيه بالاسم لان الله لا يريد ذِكرها".

لم يحتمل والدي سماع المزيد ، فردّ عليه قائلاً: لكن مريم ورد ذكرها في آيات كثيرة من القرآن. ألم تكن امرأة وامرأة تقية؟

قال الملا : إن ذكر مريم قد ورد في سياقه لاثبات ان عيسى- ابن مريم وأنه ليس ابن الله"

أجاب والدي"ربما ذلك. ولكن ما أودّ إيضاحه هو أن القرآن قد اورد اسم مريم"

بدأ *المفتي* يجادل، ولكن والدي كان قد سمع ما يكفي والتفت نحو الوفد، وقال: "عندما يمرّ هذا الرجل الكريم بي في الطريق، فإني أنظر نحوه والقى عليه التحية ولكنه لا يردّ التحية، ويكتفي بأن يطأطي رأسه"

نظر *الملا* الي اسفل وهو محرج، لما للتحية من أهمية في الاسلام . ولكنه عاد يقول: "انك تدير مدرسة يحرمها الشرع، وهذا هو السبب في كوني لا اردّ تحيتك"

وعندئذٍ تحدث أحد أعضاء الوفد الآخرين، موجّها حديثه إلى والدي: "لقد سمعت أنك كافر، ولكن أراك تعلق لوحات لبعض آيات القرآن في غرفتك"

أجاب والدي مندهشا عندما رأى إيمانه وقد أصبح موضع شك: "بالطبع أعلق آيات القرآن . فأنا مسلم".

قال *المفتي* وقد رأى أن النقاش لا يسير في الوجهة التي رسمها، "دعونا نعود إلى موضوع المدرسة". يوجد رجال عادة في فناء المدرسة ، ويشاهدون الفتيات لدى دخولهن، وهذا أمر بالغ السوء".

قال والدي "لديّ حلّ ذلك، للمدرسة بوابة أخرى، وسوف تدخل الفتيات منها"

كان واضحا أن ذلك الحل لم يرض الملا، إذا كان يريد غلق المدرسة نهائياً. ولكن كبار السن رضوا بذلك الحلَ الوسط وغادروا.

ادرك والدي أن ذلك لن يكون نهاية المطاف. وما كنا نعرفه ولا يعرفه أعضاء الوفد هو أن ابنة شقيقه المفتي كانت تأتي إلى المدرسة سرّاً. ولذلك بعد بضعة أيام اتصل والدي بالشقيق الاكبر للمفتي والد الفتاة.

وقال: لقد فاض الكيل من شقيقك. اي رجل دين هذا؟ إنه سوف يصيبنا بالجنون، هل يمكنك أن تتدخل حتى يكفّ أذاه عنّا؟ ".

فرد عليه: يؤسفني أنه لا حيلة لي في ذلك ضياء الدين. لديّ مشكلات في بيتي أيضاً. إنه يعيش معنا وأخبر زوجته أن عليها الاحتجاب عنا وأن زوجاتنا لا بد أن يحتجبن عنه كل ذلك فى المكان الضيق الذى نسكن فيه. إن زوجاتنا مثل أخواته وزوجته مثل أخت لنا، ولكن هذا الرجل المجنون قد أحال المنزل جحيماً. أعتذر لك ولكني لا أستطيع مساعدتك".

كان والدي محقا عندما قال ان هذا الرجل لن ييأس – فقد أصبح رجال الدين ذوو نفوذ واسع منذ حكم ضياء الحق وحملة الأسلمة.

كان الجنرال مشرف يختلف على نحو ما اختلافاً كبيراً عن الجنرال ضياء الحق: فرغم انه كان يظهر احيانا بالزي العسكري، فقد كان يرتدى البدله الغربية من حين إلى آخر ويسمى نفسه رييساً تنفيذياً بدلاً من الرئيس الحاكم العرفي. وكان يقتني كلابا أيضا، وهي ما نعتبرها نحن المسلمين نجسة. وبدلاً من حملة الاسلمة التي أطلقها ضياء الحق ، فقد بدأ هو ما أسماه 'الوسطية المستنيرة'. فقد فتح المجال أمام وسائل الإعلام وسمح بإنشاء قنوات تلفزيونية خاصة وأتاح للنساء العمل كمذيعات لنشرات الأخبار، فضلاً عن سماحه ببثّ عروض الرقص عبر التلفزيون. وقد سمح بالاحتفال بالأعياد الغربية أيضا مثل عيد الحب وليلة راس السنة الجديده وبإقامة حفل موسيقي سنوي كان يبث عبر التلفزيون الوطني عشية عيد الاستقلال. وقد اقدم على خطوة لم يقدم عليها حكامنا الديمقراطيون، بما فيهم بنازير بوتو، وألغى قانون كان يقضي بأنه يتعين على المرأة أن تأتي بأربعة شهود من الرجال كي تثبت تعرَضها للإغتصاب. وفوق ذلك أصدر قراراً بتعيين أول امرأة في منصب محافظ البنك المركزي وأولى النساء في مهنة قيادة الطائرات وخفر السواحل، بل لقد اعلن انه سوف يكون لدينا حارسات من النساء عند ضريح جناح في كراتشي. .

لكن ومع ذلك فقد كان الوضع لدينا نحن البشتون في أقليم الحدود الشمالي الغربي مغايراً تماماً. في العام 2002 أقام مشرف انتخابات لـ "ديموقراطية موجهة" . كانت انتخابات غريبة، لأن زعيمي الحزبين الرئيسين وهما نواز شريف وبنازير كانا في المنفى . ولذلك اتت هذه الانتخابات في إقليمنا بما أسميناه " حكومة الملالي" إلى السلطة . كان تحالف مجلس الامل أو " إم إم أيه " يتألف من خمسة أحزاب دينية وتشمل جماعة امة الأسلام التى تدير المدارس التي تدرب فيها الطالبان. وكان الناس يسخرون من هذا التحالف قائلين إنه تحالف الملالي والعسكر، ويقولون انهم انتخبوا لانهم يجدون دعم من مشرف. ولكن بعض الناس ساندوهم لان البشتون المعروفون بشدة تدينهم كانوا حانقين على الغزو الاميركي لافغانستان الذي تسبب في الاطاحة بحكم حركة الطالبان.

اتسمت منطقتنا دائماً بانها الاكثر تحفظا بين معظم مناطق باكستان الاخرى . وقد انشئت خلال سنوات الجهاد الافغاني الكثير من المدارس الدينية التي مول معظمها بالمال السعودى وتخرج منها شباب كثيرون نظراً الى انها كانت توفر تعليماً مجانياً وكانت تلك المدارس هي بداية ما يسميه والدي " تعريب " باكستان ، ثم جاءت احداث الحادي عشر من سبتمبر لتجعل هذا التيار المتحفظ اكثر شيوعاً ورسوخاً. وكنت عندما اسير احياناً عبر الطريق الرئيس الاحظ رسائل مكتوبة بالطباشير على جدران المباني كان بعضها يقول اذا اردت التدريب على الجهاد فاتصل بنا، ثم يُتبعون ذلك برقم الهاتف. واعتادت الجماعات الجهادية ان تعمل في اجواء من الحرية اتاحت لها ان تفعل ما تشاء خلال تلك الايام، فكانوا يجمعون علناً المساهمات المالية ويجندون الرجال. وقد تباهى ذات مرة مدير مدرسة في شانجلا بان اعظم نجاحاته هو انه ارسل عشرة فتية في الصف التاسع لتلقي التدريب في كشمير على الجهاد.

حظرت الحكومة التي الفها تحالف " إم إم أيه " محلات بيع الاقراص المدمجة واسطوانات الفيديو الرقمية "دى فى دى" وارادت ان تحذو حذو طالبان افغانستان وتنشئ شرطة للاخلاق. كانت الفكرة هى ان عناصر هذه الشرطة سوف يخولون الحق في توقيف اي امرأة تسير بصحبة رجل للتأكد من صلة القرابه بينهما. والحمد لله ان محكمتنا العليا قد اوقفت العمل بذلك النظام .وعقب ذلك اخذ نشطاء تحالف " إم إم أيه " يشنون هجماتهم على دور السينما ومزقوا اللوحات الاعلانية التي تحمل صور نساء او سودوها مستخدمين الطلاء.

ووصل الامر بهم الى حد ازالة مجسمات النساء من محلات الملابس وراحوا يتحرشون بالرجال ممن يرتدون قمصان وبنطلونات على النمط الغربي بدلاً من الزي التقليدي (سروال وقميص)، واصروا على تغطية النساء لرؤوسهن. بدا وكانهم يريدون مَحو كل اثر للنساء من الحياة العامة.

افتتحت مدرسة والدي الثانوية العليا في عام 2003. وفي تلك السنة الاولى جمعت بين البنين والبنات، ولكن ومع مطلع عام 2004 تغير المناخ العام ولم يعُد الجمع بين البنات والبنين في صف واحد امراً غير وارد. وهذا المناخ الجديد نفسه هو ماكسب غلام الله قوة وجرأة, إذ أبلغ احد موظفي المدرسة والدي بان المفتي لا يزال ياتي الى المدرسة ويسال عن استمرار دخول الفتيات عبر البوابة الرئيسية. واضاف الموظف انه ذات يوم وعندما تصادف ان مدرساً قد رافق مدرسة زميلته حتى الطريق الرئيس كي يجد لها ركشا، فسأل مولانا : " كيف يرافقها هذا الرجل الى الطريق ،هل هو شقيقها؟".

أجابه الموظف: "لا إنه زميل لها"

قال مولانا: "هذا خطأ!"

طلب والدي من الموظف ان يتصل به عندما يرى مولانا مرة اخرى. وعندما جاءه الاتصال، خرج له والدي ومعلم الدراسات الاسلامية لمواجهته.

قال له والدي: " *مولانا* " ، لقد نفد صبري ! من أنت ؟ انك مجنون! عليك ان تذهب الى طبيب. هل تظن انني عندما ادخل المدرسة اقوم بخلع ملابسي؟ عندما ترى ولدا وبنتاً فكانما عاينت فضيحة. انهم اطفال في مدرسة. انصحك بالذهاب الى الدكتور حيدر علي!"

كان الدكتور حيدر علي طبيباً نفسياً معروفاً في منطقتنا، ولذلك عندما نتساءل قائلين" هل نأخذك الى الدكتور حيدر علي؟" فاننا نعني "هل انت مجنون؟".

خيم الصمت علي المفتي، وما كان منه إلا أن خلع عمامته ووضعها في حجر والدي. ولأن العمامة تمثل لدينا رمزاً للشهامة والقيم البشتونية، فان خلع رجل لعمامته يُعد إذلالاً كبيراً. ولكنه عاد عندئذ وقال مرة اخرى: "لم يحدث ان قلت هذا الكلام لموظفك. انه كاذب".

فاض الكيل بوالدي وصاح في وجهه: "ليس هذا من شأنك. اذهب بعيداً"

صحيحٌ أن محاولة إغلاق المدرسة التي قام بها المفتي قد باءت بالفشل، ولكن تدخله مثل مؤشراً للتغير الذى حدث فى بلادنا. استبد القلق بابي ولم تعد لقاءاته التي يعقدها مع رفقائه النشطاء تقتصر على الدعوة لمنع قطع الاشجار بل اصبحت تتطرق لقضايا التعليم والديمقراطية ايضاً.

وفي العام 2004، وبعدما ظل يقاوم ضغوطاً من واشنطن على مدى اكثر من عامين ونصف، ارسل الجنرال مشرف الجيش الى مناطق القبائل تحت الحكم الاتحادى، وهى سبع مناطق تقع على إمتداد الحدود مع افغانستان حيث توجد سيطرة قليلة للحكومة. وقد زعم الاميركيون ان مسلحي القاعدة الذين فروا من افغانستان خلال القصف الاميركي قد استخدموا هذه المناطق كملاذ آمن، مستغلين تقاليد حسن ضيافتنا البشتونية. وقد اداروا هناك معسكرات للتدريب وشنوا غارات عبر الحدود على قوات حلف شمال الاطلنطي. وهو ما راينا فيه صراعاً شديد القرب منا، فاحدى مناطق القبائل وهي باجور تقع مقابل سوات وينتمي كل الذين يعيشون في مناطق القبائل جميعهم الى قبائل بشتونية مثلنا نحن يوسفزاي، ونعيش على جانبي الحدود بين باكستان وافغانستان .

انشئت المناطق القبائلية خلال الوجود الاستعماري البريطاني لتكون منطقة عازلة بين افغانستان وما كان يعرف عندئذٍ بالهند، وما زالت تدار بالطريقة ذاتها، حيث يتولى تصريف الامور فيها زعماء قبائليون او كبار السن يعرف الواحد منهم باسم "ملك" ولسوء الحظ، فان هؤلاء الملوك لا يملكون الا سلطات قليلة، ولا تخضع المناطق القبائلية في حقيقة الامر لاي حكم على الاطلاق. فهي مناطق منسية تتكون من اودية صخرية وعرة يدبر الناس فيها اقواتهم عبر التهريب. "لايتجاوز متوسط الدخل السنوي 250 دولاراً امريكياً – وهو نصف متوسط الدخل في باكستان". وهم يعانون نقصاً شديداً في عدد المستشفيات والمدارس، ولاسيما مدارس البنات، وحتى عهد قريب لم يكن مسموحاً فيها بوجود الاحزاب السياسية. وفى هذه المناطق نادرا ما يجد المرء امرأة تجيد القراءة والكتابة، كما يعرف اهل هذه المناطق بشراستهم ونزعتهم للاستقلالية، وهو ما يدركه كل من يتاح له مطالعة اي من التقارير البريطانية القديمة.

لم يكن جيشنا قد دخل مطلقاً الى المناطق القبلية. وعوضاً عن ذلك ، فرض نوعاً من السيطرة غير المباشرة بطريقة تشبه تلك التي لجأ اليها البريطانيون، معتمداً في ذلك على قوات الحدود البشتونية بدلاً من الجنود النظاميين. ولذلك كان الزج بالجيش النظامي في هذه المنطقة قراراً صعباً. وهي صعوبة لم تكن تنبثق من كون جيشنا واجهزة استخباراتنا ظلوا يحتفظون بعلاقات طويلة مع بعض المسلحين فحسب بل من كون جنود الجيش سوف يحاربون اشقائهم البشتون ايضاً. كانت اولى المناطق القبلية التي دخلها الجيش هي جنوب وزير ستان، في مارس من العام 2004 وكما هو متوقع فقد راى اهل المنطقة في ذلك اعتداء على طريقة عيشهم ولان السلاح كان ينتشر انتشارا واسعاً بين رجال هذه المنطقة ، فقد لقي مئات الجنود مصرعهم عندما ثار رجال القبائل المحليين.

احدث ذلك صدمة داخل اوساط الجيش، ورفض بعض الجنود القتال كي لا يجدون انفسهم في مواجهة مع بني جلدتهم. ولذلك تراجع الجيش بعد اثنى عشر يوما فقط من توصله لما اسماه "تسوية سلمية عبر التفاوض" مع زعماء المسلحين المحليين- مثل نِك محمد وقد تطورت عملية التفاوض على رشوة قدمها الجيش لهؤلاء الزعماء كي يوقفوا هجماتهم نهائياً ويحولوا دون تسلل المقاتلين الاجانب، لكن المسلحين استخدموا هذه الاموال في شراء المزيد من الاسلحة واستانفوا نشاطاتهم. ولم تمضِ سوى بضعة اشهر على ذلك حتى تعرضت باكستان لاولى هجمات الطائرات الاميركية بدون طيار.

في 17 يونيو 2014 اطلقت طائرة بدون طيار صاروخاً من نوع "*هيل فاير*" على نِك محمد في جنوب وزير ستان ، فيما كان يجري مقابلة عبر هاتف يعمل بالاقمار الصناعية . وقد قتل في الحال هو ومن حوله من رجال . لم يعلم اهل المنطقة عما يمكن ان تكون هذه – لم نكن نعلم عندئذٍ ان الاميريكيين يمكنهم ان ياتوا بمثل ذلك الشئ. اياً كان رايك في نِك محمد ، فاننا لم نكن في حرب مع الاميركيين- وصدمنا عندما وجدناهم يشنون هجماتهم من السماء على ارضنا. سادت حالة من الغضب بين- اهل المناطق القبلية والتحق كثيرون منهم بالجماعات المسلحة او شكلوا بانفسهم (*لاشكار*) مليشيات محلية .

أعقب ذلك مزيد من الهجمات فقد قال الاميركيون ان الرجل الثاني في القاعدة (نائب ابن لادن) أيمن الظواهري يختبئ في باجور وانه قد تزوج هناك. وفي يناير 2006 اطلقت

طائرة بدون طيار صاروخا يرجح انها كانت تستهدفه فوق قرية اسمها داما دولا فدمرت ثلاثة منازل وقتلت ثمانية عشر شخصاً. ادعى الاميركيين انه قد لاذ بالفرار بعد ان وصلت اليه معلومات عن الغارة. وفي ذلك العام نفسه، في 30 اكتوبر، ضربت طائرة اخرى بدون طيار مدرسة دينية فوق تل بالقرب من مدينة خار، فاودت بحياة اثنين وثمانين شخصاً ، كان بينهم الكثير من الاطفال. وقد زعم الاميركيين انها كانت معسكراً لتدريب القاعدة وهو ماظهر في شرائط الفيديو التي تبثها الجماعة وان التل كان مليئاً بالانفاق ومواقع المدافع. وبعد ساعات قليلة من هذا الهجوم اعلن رجل دين محلي بارز اسمه فقير محمد، وكان يدير المدرسة، ان القتلى سوف يثأر لهم عبر تنفيذ عمليات انتحارية ضد جنود باكستانيين.

استشعر والدي وأصدقاؤه القلق ودعوا معاً زعماء ووجهاء القوم في المنطقة لمؤتمر للسلام. كانت ليلة شديدة البرودة خلال شهر يناير، ولكن 150 شخصاً حضروا للمؤتمر.

قال والدي محذراً: "إنها قادمة الى هنا. ان النيران تقترب من الوادي. دعونا نطفئ نيران التطرف قبل ان تصلنا" .

ولكن أحداً لم يصغ اليه ، بل ان البعض ضحك، بمن في ذلك زعيم سياسي محلي كان يجلس في الصف الامامي .

فتوجه اليه والدي بالكلام: "السيد خان، لعلك تعرف ما حدث لشعب افغانستان. وهم الان لاجئون ويعيشون معنا. والامر نفسه يحدث مع باجور. والامر نفسه سوف يحدث لنا ، تذكر كلماتي، ولن نجد مأوى او بلداً نهاجر اليه".

ولكن التعبير الذي بدا على وجه الرجل كان يوحي بالسخرية، وبدا انه يقول عن والدي: "انظروا الى هذا الرجل. أنا خان. من يجرؤ على اخراجي من هذه المنطقة؟".

عاد والدي الى المنزل محبطاً وقال: "لدي مدرسة ، ولست خاناً او زعيماً سياسياً . ليس لدي سلطة. ما انا إلا رجل بسيط ".

الفصل الخامس

خريف الزلزال

ذات يوم صحو من شهر اكتوبر وكنت لم ازل في المدرسة الابتدائية أخذت طاولاتنا تتأرجح وتهتز بنا. كانت صفوفنا ما زالت مختلطة في ذلك السن، وصرخ الاولاد والبنات جميعاً: "زلزال!"- جريت نحو الخارج مثلما تعلمنا لن نفعل- تجمع جميع الاطفال حول معلميهم- مثلما تتجمع صغار الكتاكيت حول الدجاجة الام-

يقع سوات على خط صدع جيولوجي- و تتعرض كثيراً للزلازل، ولكن هذا الزلزال بدا مختلفاً- فقد بدا أنَ جميع المباني للحيطة بنا تهتز- ولم يتوقف الصوت الهادر للزلزال، كان معظمنا يبكي فيما كان معلمونا يصلون- طلبت منا آنسة روبي، وكانت إحدى معلماتي المفضلات أن نتوقف عن البكاء وأن نحافظ على هدوئنا، قائلة إنه سوف ينتهي الامر حالاً-

عندما توقفت للهزة الارضية، تم ارسالنا جميعاً إلى بيوتنا. وجدنا والدتنا تجلس على كرسي ممسكة بالقران، وقد عكفت على ترديد بعض الايات القرانية.. عادة ما يكثر الناس لدينا من الصلاة عندما تحل بهم المصائب- هرؤوعها راتنا وعانقتنا فيما تسيل الدموع على وجهها.. ولكن توابع الزلزال ظلت تضرب خلال ما بعد الظهيرة، ولذلك ظللنا في حالة خوف شديد-

انتقلنا مرة اخرى- سوف تبلغ مرات لنتقالنا سبعاً حتى بلوغي الثالثة عشرة من عمري- واصبحنا نعيش في بناية تتالف من شقق- كانت البناية التي تتالف من طابقين- ويعلوها خزان ماء كبير فوق سطحها، تعتبر بناية عالية في منجورا- تملك الفزع والدتي وخشيت لن ينهار البيت فوق رؤوسنا، ولذلك كررنا الخروج منه طوال فترة الزلزال- ليعد والدي الى البيت في ذلك المساء الا متاخراً، وذلك لانشغاله بفحص جميع المباني الاخرى للمدرسة-

عندما حلَ الليل- استمرت الهزات وانتابت والدتي حالة من الذعر وفي كل مرة تحدث فيها هزة كنا نعتقد انة يوم القيامة" سوف ندفن في فُرشنا!"- أصرت على لن نغادر المنزل- ولكن والدي كان منهكاً- ونحن المسلمين نؤمن بانه لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا- ولذلك-

ارقد نافي فراشنا الـنا وخوش ال واتلال النـي كـان وقتئـذٍ رضـيعاً. وقـال لوالـدتي واحـد ابنـاء عمومته: "اذهبي حيثما تريدان. سوف ابقى هنا. اذا كنتما تؤمنان بالله فابقيا هنا". اعتقد انه عندما تحل بنا كارثة كبرى او يداهم حياتنا خطر فاننا نتذكر ذنوبنا ونتساءل كيف سنقابل الله وما ان كان سيغفر لنا ذنوبنا ولكن الله منحنا القدرة على النسيان. كنت اثق في ايمان والدي ولكني كنت اشارك والدتي إهتماماتها الواقعية ايضاً.

تبين أن زلزال الثامن من اكتوبر 2005 هو احد أسوأ الزلازل في التاريخ. فقد بلغت قوته 7.6 على مقياس ريختر وشعر به سكان مدن بعيدة مثل كابل ودلهي. لم تتأثر مدينتنا منجورا كثيراً - انه لم تتهدم فيها سوى بضع بنايات - ولكن كشمير المجاورة والمناطق الشمالية من باكستان تعرضت لدمار بالغ، بل وحتى في اسلام اباد تهدمت بنايات.

استغرق الامر منا بعض الوقت حتى ندرك هول ما حدث. عندما بدات نشرات الاخبار تعرض الدمار راينا قرى كاملة وقد اضحت تراب. تسببت الانزلاقات الارضية في سد الطرق المؤدية الى الاماكن الاكثر تضرراً وانقطعت كل خطوط الاتصالات الهاتفية والطاقة الكهربية. وقد طال تاثير الزلزال منطقة تقدر مساحتها ب 30 الف كيلو متر مربع، وهي مساحة تعادل ولاية كنتاكي الامريكية. كانت الارقام لا تصدق فقد قُتل اكثر من 73 الف شخص فيما اصيب 128 الفاً سوف يكمل كثير منهم حياته مقعداً وفقد زهاء ثلاثة ملايين ونصف شخص بيوتهم. لقد تلاشت الطرق والجسور والمياه والكهرباء جميعها، وتعرضت اماكن كنا نزورها مثل بلاكوت لدمار شبه كامل. وكان من بين الضحايا أطفال كثيرون كانوا موجودين مثلي في المدرسة تلك الصباح ، اذ تهدمت 6400 مدرسة تقريباً وقُتل 18 الف طفل.

تذكرنا مدى الفزع الذي تملكنا في ذلك الصباح وبدأنا جمع التبرعات في المدرسة. جلب كل شخص ما يستطيعه. كان والدي يذهب الى كل شخص يعرفه، ويطلب منه التبرع بالطعام او الملابس او المال كما ساعدت والدتي في جمع البطانيات. جمع والدي تبرعات من رابطة سوات للمدارس الخاصة ومجلس السلم العالمي ليضيفها الى ما تم جمعه في المدرسة. بلغ اجمالي قيمة ما تم التبرع به اكثر من مليون روبية. كما أرسلت شركة نشر في لاهور كانت تزودنا بالكتب الدراسية خمس شاحنات من الطعام وبعض المستلزمات الاخرى.

انتابنا قلق بالغ بشأن عائلتنا في شانجلا، المحشورة بين تلك الجبال الضيقة. وأخيراً وردتنا أخبار من احد ابناء عمومتنا افادت بان ثمانية اشخاص قد لقوا حتفهم في قرية والدي الصغيرة وتهدمت بيوت كثيرة كان من بينها منزل شيخ القرية مولانا خادم، الذي انهار سقف منزله فأودى بحياة بناته الجميلات الاربعة. كنت اريد الذهاب الى شانجلا مع والدي والشاحنات, ولكنه أخبرني بأنها ستكون رحلة محفوفة بمخاطر بالغة.

عاد والدى من الرحلة بعد بضعة ايام شاحب اللون. وحدَّثنا بان الجزء الاخير من الرحلة كان بالغ الصعوبة، اذ كان معظم الطريق قد انهار في النهر فيما انزلقت صخور كبيرة على الطريق واعاقت الحركة عليه. وافادت عائلتنا واصدقاؤنا بانهم اعتقدوا أن الزلزال هو نهاية العالم. تحدثوا عن صوت تساقط الصخور وهي تنزلق من فوق التلال فيما يهرع الجميع خارجين من منازلهم وهم يرددون آيات من القران، وتعلوا الصرخات عندما تنهار الاسقف ويسمع عواء الجاموس والماعز. ومع تواصل الهزات أمضوا النهار في العراء ثم الليل أيضاً، وهم يجلسون بالقرب من بعضهم البعض للاستدفاء، رغم ان الطقس كان شديد البروده في الجبال.

في أول الأمر لم يصل سوى عدد ضئيل من عمال الاغاثة الذين ينتمون الى وكالة مساعدات اجنبية تعمل في المنطقة، فضلاً عن متطوعين من حركة "تحريك إنفاذ الشريعة المحمدية"، وهي مجموعة أسسها صوفي محمد الذي كان يرسل الرجال للقتال في أفغانستان. كان صوفي محمد قيد الاعتقال منذ عام 2002 عندما اعتقل مشرف عدداً من قادة المسلحين بعد تعرضه لضغوط أميركية، ولكن جماعته واصلت عملها بعد أن تولى قيادتها صهره مولانا فضل الله. كان يصعب على السلطات الوصول الى مناطق مثل شانجلا بعد ان تهدمت معظم الطرق والجسور، كما تلاشى كل أثر للحكومة المحلية من المنطقة وقد سمعنا مسؤولا من الامم المتحده يقول عبر التلفزيون إنه "أسوأ كابوس لوجستي واجهته الامم المتحده ".

أما الجنرال مشرف فقد أسماه " اختبار الامة " واعلن ان الجيش قد اطلق عملية شريان الحياة – حيث يفضل جيشنا ان يطلق على عملياته اسماء. عُرضت صور كثيرة في الاخبار لمروحيات الجيش المحملة بالامدادات والخيام، ولكن هذه المروحيات لم تكن تستطيع الهبوط في كثير من الاودية الصغيرة، ولذلك كانت حُزم المساعدات التي يسقطونها غالباً ما تتدحرج فوق المنحدرات حتى تسقط في النهر. وفي بعض المناطق، كان السكان يندفعون باعداد كبيرة اسفل المروحيات عندما تحلق فوق مناطقهم، وهو ما كان يعوقها عن إسقاط الامدادات بسلامه.

ولكن بعض المساعدات وصلت بالفعل. فقد سارع الاميركيون بتقديم المساعدات ايضا، اذ كان لديهم آلاف القوات ومئات المروحيات في افغانستان، ومن ثم لم يواجهوا صعوبة في ايصال المساعدات جوا وظهروا بمظهر من يمدّ الينا يده ساعة الشده، رغم ان بعض اطقم الطيارين كانوا يغطون العلامات التي تدل على هوية المروحيات الاميركية خشية مهاجمتها. وكانت هذه هي المرة الاولى التي يشاهد فيها سكان هذه المناطق النائية أجنبياً .

كان معظم المتطوعين ينتمون الى جمعيات خيرية إسلامية او منظمات إسلامية، ولكن بعض هذه المنظمات كانت تعمل كواجهة للجماعات المسلحة. وكانت ابرزها هي جماعة الدعوة ، وهي الجناح الاغاثي لمنظمة "*لاشكار بن طيبة* " التي كانت تحتفظ بعلاقات وثيقة مع جهاز الاستخبارات وتأسست لتحرير كشمير، التي نعتبرها جزءأ من باكستان وليس الهند نظراً إلى أن غالبية سكانها من المسلمين. ويقود هذه المنظمة أستاذ حادّ الطبع من لاهور اسمه حافظ سعيد، اعتاد أن يظهر عبر شاشات التلفزيون ويحثّ الناس على مهاجمة الهند. عندما وقع الزلزال ولم تقدم حكومتنا إلا قليلا من العون، أنشأت جماعة الدعوة مخيمات إغاثة كان يحرسها رجال يحملون الكلاشينكوف وأجهزة اتصال لاسلكية، كان الجميع يعرف أن هؤلاء الرجال ينتمون إلى "*عسكر طيبة*" وسرعان ما بدأت ترفرف راياتهم ذات اللونين الاسود والابيض وقد رُسم عليها سيفان متقاطعان في كل مكان في الجبال والأودية. وفي مدينة مظفر أباد في أزاد كشمير، أنشأت جماعة الدعوة مستشفى ميدانيا كبيراً يضمَ أجهزة تشخيص مثل "الإكس راي" وغرفة عمليات وصيدلية تحوي مخزون جيد من الأدوية وقسماً لعلاج الاسنان، كان الأطباء والجراحون يقدمون خدماتهم بالتعاون مع آلاف المتطوعين من الشباب صغار السن.

أثنى ضحايا الزلزال على النشطاء الذين ساروا الى أعلي الجبال ونزلوا إلى الأودية المدمرة وهم يحملوان المساعدات الطبية كي يصلوا إلى المناطق النائية التي لم يعبأ بها أحد آخر. كانوا يساعدون في رفع الأنقاض وإعادة بناء القرى المتهدمة فضلاً عن إمامة الصلاة ودفن الجثامين. وحتى اليوم، وبينما غادرت معظم وكالات الإغاثة الاجنبية، فان المباني المدمرة ما زالت تقف شاهدة على جوانب الطرق وما زال الناس ينتظرون التعويضات من الحكومة كي يبنوا منازل جديده، وما زالت رايات جماعة الدعوة ومتطوعوها هناك. وقال بن عمي الذي كان يدرس في المملكة المتحدة إنهم جمعوا أموالاً طائلة من أفراد الجالية الباكستانية التي تعيش هناك. وقد قال الناس لاحقاً إن بعض هذه الأموال تمّ تحويلها لتمويل مخطط لتفجير الطائرة المتجهة من بريطانيا إلى الولايات المتحدة.

كان مقتل هذا العدد الكبير من الاشخاص يعني أن أطفالاً كثيرين تيتموا، وقد قّدرت أعدادهم ب 11ألف طفل. ووفقاً لثقافتنا فإن الأيتام عادة ما تحتضنهم عائلاتهم الممتدة، ولكن الزلزال كان من الشدة بدرجة ازال معها عائلات كاملة او تسبّب في فقدانها لكل شيء بما جعلها غير قادرة على استيعاب أي أطفال. وعدت الحكومة بأن الدولة سوف تشملهم جميعا بالرعاية لكن كان ذلك وعدا خاويا مثل معظم وعود الحكومة. ولكن والدي سمع أن كثيراً من الاولاد قد تمّ استيعابهم من قبل جماعة الدعوة وتمّ إيوائهم في المدارس الدينية، في باكستان. تمثّل المدارس الدينية نظام رعاية اجتماعية لأنها تعطي الطعام المجاني والسكن، ولكن تدريسهم لا يطبق المنهاج العادي. وفيها يحفظ الاولاد القرآن عن ظهر قلب ويهتزون ذهابا

وايبا أثناء تلاوته، كما يتعلمون انه ليس ثمة شيء اسمه للعلوم أو الاسباب ولن الديناصورات لم توجد على الأرض قط وأن الانسان لم يذهب الي القمر مطلقا.

وبعد وقوع الزلزال، خيَّمت حالة من الصدمة على الدولة برمّتها للفترة طويلة، لقد واجهنا بالفعل حظاً عاثراً للغاية في من ابتُلينا بهم من سياسيين وحكام عسكريين ولآن، وفوق كل ذلك، وجدنا أنفسنا في مواجهة مع كارثة طبيعية لا تُبقى ولا تذر، وقد أخذ ملالي حركة". تحريك إنفاذ الشريعة للحمدية". يروجون لفكرة أن الزلزال إنما هو إنذار من الله، فكان هؤلاء الملالي يصيحون بأعلى أصواتهم بأننا إذا لم نصلح من أنفسنا ونطبق الشريعة الاسلامية، فسوف ينزل الله بنا ابتلاءات أشد هولاً.

القسم الثاني

وادي الموت

وداعا للموسيقى!

فحتى أعنب ألحانكم سوف يتم إسكاتها

فقد كمم الطالبان على مشارف القرية كل الشفاه

الفصل السادس

الملا راديو

عندما وصل الطالبان لوادينا كنت قد بلغت العاشرة.. كنا أنا ومنيبة نقرأ في ذلك الوقت روايات الشفق ونتوق لأن نصبح مصاصتي دماء، وبدا لنا وكأن الطالبان قد جاءوا تحت جنح الظلام تماماً مثلما يفعل مصاصو الدماء.. ظهروا لأول في سوات للعلياء وفي مجموعات مسلحة بالسكاكين والكلاشينكوف.. ليكونوا يسمون أنفسهم طالبان في أول الامر ولم يكونوا يشبهون طالبان أفغانستان للذين رأيناهم في الصور بعماماتهم وعيونهم ذات الهالات السوداء..

كانوا ذوي مظهر غريب ولهم شعر ولحي طويلة غير مهذبة ويرتدون صدريات مموهة فوق قمصان للشالوار للتقليدية التي يرتدونها فوق سراويل تعلوا كواحل أقدامهم بكثير.. وهم يرتدون أحذية رياضية أو صنادل رخيصة من البلاستيك أيضا، وأحيانا يلبسون جوارب بها فتحيتين لعيونهم، ويتمخطرون في أطراف عماماتهم ويضعون شارات سود أيضا مكتوب عليها الشريعة الاسلامية أو الشهادة وأحيانا يرتدون عمامات سود، ولذلك أسماهم الناس (تور *باتكى*) او ذوي العمامات السود. كانت وجوههم تبدو مغبرة حتى أحد أصدقاء والدي كان يقول عنهم إنهم "أناس محرومون من الحمامات والحلاقين".

كان زعيمهم هو مولانا فضل الله يبلغ من العمر 28 سنة وقد عمل سابقاً عامل تشغيل كرسى ببكرة واسلاك (*تلفريك*) لعبور نهر سوات، وهو يجرجر ساقه اليمنى بسبب إصابته بمرض شلل الأطفال خلال طفولته، وقد درس في مدرسة مولانا صوفي محمد ، مؤسسة حركة تحريك إنفاذ الشريعة المحمدية، وتزوج من ابنته. وعندما سجن صوفي محمد خلال حملة الاعتقالات التي شملت قادة المسلحين في عام 2002 ، حل فضل الله مكانه في قيادة الحركة. وكان فضل الله قد ظهر أول الأمر في قرية "إمام ديري" وهي قرية صغيرة لا تبعد

سوى بضعة أميال عن منجورا على الجانب الآخر من نهر سوات، قبل وقوع الزلزال بفترة قصيرة حيث انشأ محطة إذاعية غير قانونية.

في وادينا كنا نتلقى معظم معلوماتنا عبر الاذاعة لأن كثيرين لم يكون لديهم جهاز تلفزيون أو لكونهم أميين. سرعان ما أصبحت هذه الإذاعة هي حديث المدينة وباتت تعرف باسم "راديو المُلا" فيما اشتهر فضل الله باسم "الملا راديو" كانت تبث برامجها مساء من الثامنة وحتى العاشرة، وصباحاً من السابعة وحتى التاسعة.

في البداية تحلى فضل الله بحكمة بالغة، وقدّم نفسه باعتباره مصلحاً إسلامياً ومفسّرا للقرآن الكريم. ولأن والدتي تحمل داخلها قدراً كبيراً من الورع. فقد حاز فضل الله إعجابها في أول الأمر إذ كان يحث الناس عبر أثير إذاعته على اتباع العادات الحميدة والاقلاع عن الممارسات التي يراها من الرذائل، فطالب الرجال بإطلاق اللحي والاقلاع عن تدخين السجائر ومضغ التبغ وتعاطي الهروين وتدخين الحشيش. وكان يرشد الناس إلى كيفية الوضوء الصحيح، بما في ذلك حتى كيفية غسلهم للمناطق الحساسة.

كان صوته أحيانا يأتي هادئا، مثلما هو حال الكبار عندما يحاولون إقناعك بأن تفعل شيئا لا تريده، وأحيانا ياتي مخيفاً وهادرا. و غالباً ما يبكي عندما يتحدث عن حبه للاسلام. وعادة ما كان يتحدث عبر الاثير لبعض الوقت، ثم يحل مكانه نائبه شاه دوران، وهو رجل اعتاد ان يبيع الوجبات الخفيفة في السوق فوق دراجة ذات عجلات ثلاث. وكان كلاهما يحذران الناس من الاستماع للموسيقي ومشاهدة أفلام السينما والرقص. وكان فضل الله يصرخ قائلاً إن مثل هذه الذنوب هي ما تسببت في الزلزال، وأنه إذا لم يقلع الناس عن هذه الذنوب فسوف يجرون على أنفسهم غضب الله مرة أخرى. وفي بلادنا غالباً ما يسيئ الملالي تفسير القرآن والحديث النبوي عندما يقومون بشرحهما فى بلادنا وذلك لأن غالبيتنا تجهل اللغة العربية، وهو جهل استغله فضل الله.

سألت أبي "هل هذا صحيح يا والدى؟ " لم أكن قد نسيت حالة الرعب التي عشناها خلال الزلزال.

أجاب: "لا يا عزيزتي. إنه فقط يخدع الناس".

قال والدي إن المحطة الاذاعية أصبحت محور كل حديث في غرفة المدرسين، وكانت مدرستنا عندئذ تضم زهاء 70 مدرَّسا، ما بين أربعين مدرسا وثلاثين مدرسة. كان بعض المدرسين مناوئا لفضل الله، وكذلك ايده كثيرون منهم. وقد رأى الناس فيه مفسّرا جيداً للقرآن واجتذبهم *بكاريزما* شخصية، واستهواهم بحديثه عن استعادة الشريعة الاسلامية، لا سيما وأن الجميع كان ساخطا على النظام القضائي الباكستاني، الذي حل محل نظامنا بعد اندماجنا في الدولة. وأصبحت قضايا مثل نزاعات الأراضي التي تكثر في منطقتنا وكان يتم حلها سريعا، أصبحت الآن تستغرق عشر سنوات حتى يتم عرضها على المحكمة. وفوق ذلك كان الجميع يتمنون عدم رؤية المسؤلين الحكوميين الذين يأتون الى الوادي، وهو ما جعل الناس يعتقدون أن فضل الله سوف يعيد إحياء ولايتنا الأميرية القديمة التي كانت قائمة زمن حكم الوالي.

في غضون ستة أشهر اخذ الناس يتخلصون مما لديهم من أجهزة التلفزيون وأسطوانات الفيديو الرقمية والاقراص المدمجة. كان رجال فضل الله يجمعونها في أكوام كبيرة في الشوارع ثم يشعلون فيها النار. فتنبعث منها سحب دخان أسود كثيف يمتد عاليا في السماء. أغلقت المئات من متاجر بيع الاقراص المدمجة واسطوانات الفيديو الرقمة أبوابها طواعية وتلقى اصحابها تعويضات من قبل الطالبان. أثار ذلك قلقنا أنا وأخويّ بشأن تلفزيوننا الذي كنا نحبه، ولكن والدي طمأننا بأننا لن نتخلص منه، لكننا نقلناه رغم ذلك إلى خزانة ملابس كي يصبح في مكان آمن وبدأنا نخفض درجة صوته إلى أقصى درجة عند مشاهدته، كان معروفا أن الطالبان يتنصتون على أبواب البيوت ثم يقتحمونها ويأخدون أجهزة التلفزين عنوة ويهشمونها قطعاً في الشارع. كان فضل الله يكره السينما الهندية التي كنا نحبها كثيراً، وندد بأنها معادية للإسلام. أصبحت الاذاعة هي الشيئ الوحيد المباح لدينا بعد ان أعلن أن الموسيقي بكل أنواعها، عدا تلك التي يستخدمها الطالبان في أناشيدهم، حرام شرعاً.

وذات يوم ذهب والدي لزيارة صديق له في المستشفى ووجد أناساً كثيرين يستمعون إلى شرائط كاسيت سجّلت عليها خطب لفضل الله، وقالوا له: "لا بد لك أن تقابل مولانا فضل الله . إنه عالم عظيم".

رد عليهم سريعاً: "إنه في واقع الأمر لم يكمل المدرسة الثانوية، وحتى اسمه الحقيقي ليس فضل الله", ولكهنهم لم يأبهوا لكلامه. أصبح والدى مكتئبا عندما رأي الناس قد بدأوا فعلاً يتبنون آراء فضل الله والمثالية الدينية التي يروج لها. وكان والدي يقول: ما يبعث على السخرية حقاً هو أن هذا الذي يسمى عالماً إنما ينشر الجهل بين الناس".

حظي فضل الله بشعبية واسعة ولاسيما في المناطق النائية التي لم ينس سكانها متطوعي حركة تطبيق الشريعة الاسلامية الذين مدوا لهم يد العون خلال فترة الزلزال، في وقت تقاعست الحكومة عن نجدتهم. وقد وضعت مكبرات صوت موصولة بالاذاعة فوق بعض المساجد كي يتسنى لكل أهل القرية سواء كانوا في بيوتهم أم حقولهم الاستماع إلى برامجها. وكان البرنامج الأكثر شعبية لديه يذاع كل مساء عندما يقوم بذكر أسماء الاشخاص. فيقول: السيد فلان كان يدخن الحشيش ولكنه أقلع عنه لأنه حرام شرعاً". أو "السيد س أطلق لحيته فتهانينا له"، أو" السيد ص أغلق متجره الخاص ببيع الاسطوانات المدمجة طواعية". وكان يؤكد لهؤلاء جميعا أنهم سوف ينالون ثوابهم في الاخرة. أعجب الناس بالاستماع لأسمائهم عبر الاذاعة, وراق لهم أيضا أن يعرفوا عبر الاذاعة أيا من جيرانهم كان يرتكب المعاصي- كي يستخدمو ذلك مادة للقيل والقال: هل سمعت عن فلان وفلان؟".

كانت إذاعة الملا تذيع نكات عن الجيش، ويشجب فضل الله مسؤولي الحكومة الباكستانية بـ" الكفار"، قائلاً إنهم يعارضون تطبيق الشريعة الاسلامية. وتوّعدهم بقوله إنهم إذا لم يطبقوها، فان رجاله سوف يقومون بذلك ويمزقونهم الى قطع". وكانت إحدى موضوعاته المفضله هي الظلم الذي ينطوي عليه النظام الاقطاعي الذي يوجد على رأسة الخانات. وقد فرح الفقراء عندما رأوا الخانات ينالون ما سيتحقون من عقاب. ووجدوا في فضل الله نوعا من روبن هود وحسبوا أنه عندما يتولى السلطة سيوزع أراضي- الخانات على الفقراء، وقد فر بعض الخانات من مناطقهم. كان والدي يعارض " نظام الخانات" الإقطاعي ولكنه كان يقول إن الطالبان اكثر سوءا.

كان صديق والدي هداية الله قد أصبح مسؤولا حكوميا في بيشاور وحذرنا قائلآ "هذه هي الطريقة التي يعمل بها هؤلاء المسلحون. سيسعون لكسب قلوب وعقول الناس. فيبحثون عن المشكلات المحلية ويستهدفون المسؤلين عنها، وهكذا يحظون بدعم الأغلبية

الصامتة. ذلك هو ما فعلوه في وزيرستان عندما تعقبوا الخاطفين واللصوص. وعندما تؤول إليهم السلطة بعد ذلك، فإنهم يتصرفون مثل تصرفات المجرمين الذين كانوا يطاردونهم".

كان فضل الله يوجه برامجه غالباً إلى النساء ، فهو يعرف حتماً أن كثيراً من رجالنا متغيبون عن بيوتهم، فهم إمّا يعملون في مناجم الفحم جنوباً أو في مواقع الانشاءات في الخليج العربي. وكان أحيانا يقول "أيها الرجال" اخرجوا من بيوتكم الآن، فسوف اتحدث إلى النساء، ثم يقول: "لقد خلقت النساء للقيام بواجباتهن داخل المنزل. ولا يجوز أن يخرجن إلا للضرورة، وحتى عندئذٍ يتعين عليهم ارتداء النقاب". وكان رجاله أحياناً يعرضون الملابس الفاخرة التي يقولون إنهم اخذوها من "نساء متفسخات" لانزال العار بهن.

وفي المدرسة قالت صديقاتى ان امهاتهم يستمعن الى راديو ملا، وكانت ناظرة المدرسة مدام مريم قد نهتنا عن ذلك. لم يكن لدينا في البيت سوى جهاز راديو قديم يعود لجدي، وكان لا يعمل، ولكن صديقات والدتي جميعهن كن يستمعن للإذاعة ويخبرنها بما سمعنه. كنّ يثنين على فضل الله ويتحدثين عن شعره الطويل وكيف يمتطي صهوة جواده ويسلك مثل سلوك النبي (صلى الله عليه وسلم). وقد اعتادت النساء أن تخبرنه باحلامهن حتى يدعو لهم بالخير، وكانت والدتي تأنس لأحاديثهن، لكن والدي كان يفزع من ذلك.

كان كلام فضل الله يصيبني بحالة من الإرباك والبلبلة. فالقرأن الكريم لا يقول بأن الرجال يجب أن يخرجوا فيما على النساء أن يعملن طول اليوم في المنزل. وقد اعتدنا في حصة الدراسات الإسلامية في المدرسة أن نكتب مقالات تحت تحت عنوان: " كيف كانت حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)" وقد تعلمنا خلالها أن السيدة خديجه وهي الزوجة الأولى للنبي (صلى الله عليه وسلم) كانت سيدة أعمال، وأنها كانت في الاربعين من عمرها، وتكبر النبي صلى الله عليه وسلم بخمس عشرة سنة، وسبق لها الزوج من قبل لكنه مع ذلك تزوجها. وعلمت أيضا عبر والدتي أن نساء البشتون تعرفن بشدة البأس والقوة، فقد كانت والدتها، التي هي جدتي، ترعى ثمانية أطفال وحدها بعد أن تعرض جدي لحادث كسر في حوضه وظل ملازماً للفراش على مدى ثماني سنوات.

والرجل يخرج للعمل، ويتكسب أجراً، ثم يعود إلى البيت يتناول طعامه ثم ينام، ذلك هو كل ما يفعله الرجال لدينا. فهم يرون أن السلطة تكمن في جني المال وتوجيه الآخرين. ولا

يعتقدون أن السلطة موجودة في يد المرأة التي تحيط الجميع برعاتها طول اليوم وتنجب لهم الأطفال. وفي منزلنا كانت والدتي تتولى إدارة كل شيء نظراً إلى انشغال والدي الشديد. فهي من تستيقظ باكراً في الصباح، وتكوي لنا زي المدرسة ثم تعدّ طعام الإفطار وتعلمنا كيف نتصرف بأدب. وهي أيضا من يذهب إلى السوق كي تشترى حاجاتنا وتطهو لنا الطعام. كانت هي من تقوم بكل هذه الاعمال.

في السنة الاولي التي دانت فيها السيطرة للطالبان خضعت لعمليتين جراحيتين, الأولى لاستئصال الزائدة الدودية والثانية لإزالة اللوزتين. وقد استُئصلت الزائدة الدودية لدى خوشال أيضاَ. وكانت والدتي هي مَن رافقتنا إلى المستشفى، أما والدي فقد زارنا هناك فقط وجلب معه الآيس كريم، لكن و مع ذلك ما زالت والدتي تعتقد أن في القرآن نصّ يقول إن علي النساء ألا يخرجن من بيوتهن وألا يتحدثن إلى رجال من غير محارمهن. واعتاد والدي أن يقول لها " بكاي، الحجاب ليس في اللباس، الحجاب في القلب.

تأثرت نساء كثيرات بخطابات فضل الله حتى اعطينه حليهن ونقودهن، خاصة الاسر التى تعيش في القرى الفقيرة أو لديهن أزواج يعملون في الخارج. كانت الطاولات توضع في الساحات كي يتسنى للنساء أن تقدمن أساور وقلائد أعراسهن، فكنّ يقفن فى صفوف لتقديمها عن طيب نفس أو ترسلن أولادهن لعمل ذلك، وذهبت بعضهن إلى حد انهن تبرعن بكل مدخراتهن، ظناً أنهن بذلك سوف تنلن رضاء الله. بدأ يشيد مركزاً ضخماَ بالطوب الأحمر في قرية إمام ديري يضم مّدرسة دينية ومسجدا وأحاطة بأسوار وسدود لحمايته من فيضانات نهر سوات. لم يستطع أحد معرفة من أين أتى بالاسمنت وحديد التسليح، ولكن العمالة كانت من أبناء المنطقة، إذ كان على كل قرية أن تتناوب في إرسال رجالها مدة يوم للمساعدة في بناء المركز. وذات يوم طلب أحد معلمي اللغة الأردية لدينا، اسمه نواب على، إذناً من والدي كي يتغيب يوماً: " لن آتي إلى المدرسة غدا"، وعندما سأله والدي عن السبب، أوضح له أن دور قريته غداً للعمل في بنايات فضل الله.

أجابه والدي: "لكن مهمتك الرئيسية هي أن تعلم الطلاب"

قال نواب على "لا، يجب علي أن أؤدي ذلك العمل"

عاد والدي إلى المنزل وهو غاضب وقال " لو أنّ الناس يتطوعون بالطريقة نفسها لبناء المدارس والطرق أو حتى لتنظيف النهر من الأكياس البلاستيكية، لأصبحت باكستان والله، جنة في غضون عام. العمل الخيري الوحيد الذي يعرفونه هو أن يتبرعوا لبناء المساجد والمدارس الدينية .

وبعد بضعة أسابيع أبلغ هذا المعلم ذاته والدي بأنه لم يعُد بمقدوره أن يدرس البنات، قائلاً إن "مولانا لا يرضي عن ذلك".

حاول والدي أن يثنيه عن قراره وقال له: "أوافقك الرأي ان تعليم البنات يجب أن تقوم به معلمات: ولكن علينا أولاً ان نعلم بناتنا حتى تصبحن معلمات!".

ذات يوم أعلن صوفي محمد من السجن بأنه لا يجوز للفتيات أن يلتحقن بالمدارس، بما في ذلك مدارس البنات الدينية وقال: "إذا كان ثمة أحد لديه أي دليل على أن الاسلام قد سمح بوجود مدارس البنات الدينية، فليأتِ ويبول على لحيتي، وعندئذٍ اصبحت قضية المدارس هي محور اهتمام إذاعة الملا، فراح فضل الله يوجه هجومه ضد مسؤولي المدارس ويهنئ البنات اللائي تركن مدارسهن بذكر أسمائهن والثناء عليهن. فكان يقول: " الآنسة فلانة وفلانة .... قد توقفن عن الذهاب إلى المدرسة وسوف يدخلن الجنة," أو الآنسة س من قرية ص قد اوقفت مسيرة تعليمها عند الصف الخامس. أهنئها ". أما الفتيات اللائي ظللن يذهبن إلى المدرسة مثلي فكان يصفهن بأنهن جواميس وأغنام .

لم نستطيع أنا وصديقاتي أن نفهم السبب الذي يجعل الذهاب إلى المدرسة إثماً عظيماَ.

سألت والدي: "لماذا لا يريدون للبنات أن يذهبن إلى المدرسة؟".

فأجاب: "إنهم مرعوبون من قوة القلم".

وبعدئذٍ رفض معلم أخر في مدرستنا، وهو معلم حساب له شعر طويل، التدريس للبنات. فما كان من والدي إلا أن أقاله، ولكن ذلك أثار القلق لدى بعض المعلمين الآخرين فأرسلو وفداً إلى والدي ورجوه قائلين "سيدي، لا تفعل ذلك. نحن نواجه أياماً سيئه. اسمح له أن يبقى وسوف نغطى حصصه".

لم يكن يمرّ يوم إلا وتصدر فيه فتوى جديدة. أغلق فضل الله صالونات التجميل وحظر حلاقة اللحية، ولذلك لم يعد هناك عمل للحلاقين. أصر والدي الذي كان لديه شارب فقط،

ولن يطلق لحيته من أجل الطالبان. وأصدر الطالبان أمراً يحظر على النساء الذهاب إلى الاسواق. لم أعبأ بحظر الذهاب إلى سوق تشينا، فلم أكن أستمتع بالتسوق، وذلك على العكس من والدتي التي تحب شراء الثياب الجميلة ورغم ضيق ذات اليد لدينا. وكانت والدتي دائما ما تقول لي: "غطّ وجهك، فالناس ينظرون إليك".

وكنت ارد، "لايهم؛ انا كذلك انظر اليهم،" وكانت تغضب.

ضاقت والدتي وصديقاتها ذرعاً بقرار منع النساء من الذهاب إلى الاسواق، ولا سيما في الايام التي تسبق الأعياد، عندما نتجمل ونذهب إلى الاكشاك المضاءة بمصابيح الزينة لشراء الاساور والحناء، توقف كل ذلك. لم تكن النساء تتعرضن للإيذاء في حال ذهبن إلى الاسواق. ولكن الطالبان كانو يصرخون في وجوههن ويهددنهن كي يمكثن في بيوتهن، وكان بوسع عنصر واحد من حركة الطالبان أن يرهب قرية كاملة. انتابنا الغضب نحن الاطفال أيضا، فعادة ما تصدر أفلام جديدة في أيام الأعياد، ولكن فضل الله قد اغلق متاجر بيع أسطوانات (*الدي في دي*). وفي هذا الوقت تقريباً فقدت والدتي هي الاخرى حماسها لفضل الله، ولا سيما عندما راح يهاجم التعليم ويصر على أن هؤلاء اللائي التحقن بالمدارس سوف تكون جهنم هي مثواهن الاخير.

بدأ فضل الله بعد ذلك يعقد مجالس *الشورى*، وهي نوع من المحاكم الأهلية. اعجب الناس بهذه المحاكم فقد رأوا العدالة فيها تنفذ بسرعة، وذلك على النقيض من المحاكم الباكستانية التي قد يطول انتظارك لسنوات وعليك أن تدفع رشوة كي تعرض قضيتك على المحكمة. أخذ الناس يلجأون إلى فضل الله ورجاله للفصل في المظالم بشتى أنواعها بدءاً من أمور التجارة والاعمال وانتهاء بالعداوات الشخصية، وقد حدث شخص ما والدي قائلاً: كان لديّ مشكلة عمرها ثلاثون عاماً، لكنها وجدت الحل في جلسة واحدة، وكانت العقوبات التي تصدرها مجالس الشورى تشمل الجلد أمام ملأ من الناس، وهي عقوبة لم نرها من قبل قط. وقال صديق لوادي إنه قد رأى ثلاثة رجال يجلدون امام الناس بعد أن أدينوا من قبل مجلس *الشورى* بالاشتراك في اختطاف امرأتين. وقد اقيمت منصة بالقرب من مركز فضل الله، حيث اعتاد المئات أن يحتشدوا لمشاهدة الجلد بعد الانتهاء من سماع خطبة الجمعة التي يلقيها،

وكانوا يهتفون "الله أكبر" مع كل جلدة سوط.. وكان فضل الله أحياناً يظهر وهو يعدو بحصانه الاسود..

وقد منع رجاله مسؤولي حملات التطعيم ضد مرض شلل الأطفال قائلين إن اللقاحات هي مؤامرة أمريكية لاعقام نساء المسلمين حتى يتلاشي سكان سوات.. وكان فضل الله يبرر ذلك عبر إذاعته قائلاً: إن السعي لعلاج مرض قبل ظهوره هو امر لا يتوافق مع الشريعة.. لم يجدوا طفلا واحداً يتلقى جرعة من القاح في أي مكان في سوات..

كان رجال فضل الله يجوبون الشوارع بحثاً عن المخالفين لأوامره تماماً مثلما تفعل الشرطة الدينية التي سمعنا عنها لدى طالبان أفغانستان.. وقد شكلوا أيضا شرطة مرور من المتطوعين اسمها "كوماندوز للصقر"، وكانو يسيرون في الشوارع بعربات النقل (بيك اب) الخاصه بهم وقد ثبتوا عليها بنادقهم الآلية..

شعر بعض الناس بالسعادة بذلك الوضع الجديد، وذلت يوم التقى والدي مصادفة مدير البنك الذي يتعامل معه، فقال له: "العمل الجيد الوحيد الذي يقوم به فضل الله هو منعه النساء والفتيات من الذهاب الى سوق بازار تشينا، مما يوفر علينا نحن الرجال اموالنا".. قلة هم هؤلاء الذين أظهروا معارضتهم.. وقد أبدى والدي امتعاضه من كون معظم الناس يشبهون حلاق منطقتنا الذي سبق وان اشتكى لوالدي من أن خزينة محله ليس بها سوى ثمانين روبيه، أي أقل من عُشر ما كان يُحصله في السابق.. وقد سبق وأن أثنى قبل ذلك بيوم واحد في حديث مع صحفي على الطالبان واصفاً إياهم بأنهم مسلمون صالحون..

بعد مرور عام على اطلاق إذاعة الملا بدا فضل الله أكثر عدوانية.. وقد كان شقيقه مولانا لياقوات وثلاثة من ابنائه، ضمن ضحايا هجوم شنته طائرة اميركية بدون طيار على مدرسة دينية في باجور في نهاية اكتوبر 2006 حيث قتل ثمانون شخصاً من بينهم اطفال لم يتجاوزوا الثانية عشرة، وكان بعضهم من سوات.. اصبنا جميعاً بالخوف لهنا الهجوم و أقسم البعض على الاخذ بثأرهم وعقب عشرة أيام فجر انتحاري نفسه في ثكنات الجيش في دارجاي، الواقعة على الطريق من إسلام أباد الى سوات، وهو ما أسفر عن مقتل اثنين واربعين

من الجنود الباكستانيين. كانت العمليات الانتحارية نادرة الحدوث في ذلك الوقت في باكستان، فلم تقع سوى ست تفجيرات في ذلك العام، وكانت هذه هي كبرى الهجمات التي نفذها مسلحون باكستانيون حتى ذلك الحين.

عادة ما نضحي في عيد الاضحى بحيوانات مثل الماعز والاغنام . ولكن فضل الله قال: " في هذا العيد سوف نضحي بحيوانات من ذوات الرجلين. ". سرعان ما أدركنا ما كان يرمي إليه. فقد بدأ رجاله يقتلون الخانات والنشطاء السياسيين ممَّن ينتمون إلى أحزاب علمانية أو قومية، ولا سيما حزب عوامي الوطني. وفي يناير 2007، اختطف صديق مقرَّب لاحد اصدقاء والدي في قريته على أيدي ثمانين مسلحاً يلبسون الاقنعة، وذلك قبل أن يُعثر على جثته ملقاة عند مقابر عائلته وقد كسرت ساقاه وذراعاه. وهذا الشخص هو ملاك بخت بيدار الذي كان ينتمي الى عائلة ثرية ويشغل منصب نائب رئيس حزب عوامي الوطني في سوات. وقد اعتبر هذا الهجوم هو أولى عمليات القتل المستهدف في سوات، وقد تردَّد وقتها أن سبب قلته هو مساعدته للجيش في العثور على مخابئ طالبان.

غضت السلطات الطرف عما يجرى من أحداث ، فحكومتنا الاقليمية كانت لم تزل تتألف من أحزاب دينية (احزاب الملا) ولن تنتقد أحداً يدعى أنه يحارب في سبيل الاسلام. في البداية حسبنا أننا في مأمن طالما نحن في منجورا، وهي كبرى مدن سوات، لكن مركز فضل الله لم يكن يفصله عنا سوى بضعة أميال، وحتى إن كان الطالبان لا يوجدون بالقرب من بيتنا، فقد كانو يجولون في الاسواق وفى التلال ويطوفون الشوارع. لقد أخذ الخطر يزحف نحونا.

فى العيد ذهبنا إلى عائلتنا في القرية كما هي العادة. ، وتصادف أن سافرنا في سيارة ابن عمى، وفي الطريق تعين علينا الوقوف عند نقطة تفتيش أقامتها طالبان. وبينما كنت أجلس في المقعد الخلفي للسيارة مع والدتي، إذا بابن عمى يعطينى بسرعة شرائط الموسيقي التي بحوزته لإخفائها في حقائبنا، كان الطالبان يلبسون ملابس سوداء ويحملون الكلاشنكوف. قالوا لنا: "اخواتنا, إنكما تجلبان العار لا بد ان ترتديا البرقع".

عندما عدنا إلى المدرسة عقب عطلة العيد، رأينا رسالة ملصقة على باب المدرسة. تقول، سيدي، إن المدرسة التي تديرها هي مدرسة غربية ومخالفة للاسلام. إنك تُعلمَ فتيات وزي المدرسة المتبع لديك غير اسلامي، توقف عن ذلك وإلا سوف تعرض نفسك للخطر وسوف يبكي أطفالك ويصرخون لك، والرسالة موقعه باسم "فدائيو الاسلام".

قرر والدي أن يغير زي الاولاد من القميص والبنطلون إلى قميص الشالوار الباكستاني وهو سروال فضفاض وقميص خارجي طويل، أما زيّنا نحن الفتيات فقد ظلّ قميص الشالوار الازرق الملكي و *غطاء رأس أبيض* (*دوباتا*). ونصحتنا إدارة المدرسة أن نغطى رؤسنا لدى دخولنا المدرسة وخروجنا منها.

لكن صديقه هداية الله طالبه بأن يثبت على موقفه ، قائلاً: " ضياء الدين، إنك تتمتع بكاريزما، يمكنك أن تجهر برايك وتحشد الناس ضدهم، الحياة ليست مجرد إستنشاق الاوكسجين وإخراج الكاربون. إما أن تذعن لكل ما يامر به الطالبان وإما ان تتصدى لهم".

أخبرنا والدي بما قاله له هداية الله، ثم كتب رسالة إلى صحيفة "*دايلي* أزادي" وهي صحيفة محلية في سوات، جاء نصها كما يلي "إلى فدائيي الاسلام، ليس هذا هو السبيل القويم لتطبيق الشريعة الاسلامية. ارجوكم لا تلحقوا أي أذى بأطفالى، لأن الله الذي تؤمنون به هو ذاته الاله الذي يصلون إليه كل يوم. اقتلوني إن شئتم ولكن لا تقتلوا تلاميذ مدرستي. غضب والدي عندما طالع الصحيفة، فقد وجد أن الرسالة قد وضعت في صفحة داخلية وأن المحرر قد نشر اسمه وعنوان المدرسة، وهو ما لم يتوقعه والدي منه، ولكن أناسا كثيرين اتصلوا بوالدي وهنأوه، قائلين: "لقد ألقيت بالحجر الأول في المياه الراكدة. أصبحت لدينا الآن الشجاعة لنقول رأينا".

الفصل السابع

سكاكر وكرات تنس

وتماثيل بوذا في سوات

قضى طالبان أولاً على موسيقانا، ثم هدموا تماثيل بوذا، ثم محوا تاريخنا .. كانت قلوبنا دائماً تهفو للرحلات المدرسية فقد كنا محظوظين بالعيش في جنةٍ مثل وادي سوات مع الكثير من الأماكن للزيارة مثل شلالات المياه والبحيرات ومنتجع التزلج وقصر الوالي وتماثيل بوذا ومقبرة آخوند سوات.. كل هذه الأماكن كانت تحكي تاريخنا المميز.. كنا نظل نتحدث عن الرحلات قبل الخروج فيها بأسابيع ، وعندما يأتي يومها أخيراً، نرتدي أفضل الثياب ونتكدس في الحافلات ومعنا أوعية مترعة بالدجاج والارز من أجل الرحلة.. بعضنا كانت لديهن كاميرات وتلتقطن للصور.. وفي نهاية اليوم كان والدي يطلب من كل واحدة منا لن تعتلي صخرة وتحكي ما رأته، كلٌ بحسب دورها، ومنذ ظهور فضل الله لم نعد نخرج في اي رحلات مدرسية ، ولم يعد مسموحاً للفتيات أن تراهنّ عينٌ خارج بيوتهن..

دمر الطالبان تماثيل وابراج بوذا التي كنا نلعب عندها، والتي وُجدت هناك منذ آلاف السنين وأصبحت جزء من تاريخها منذ عصر ملوك كوشان، وقد رأوا في كل تمثال أو لوحة عملاً محرّماً ومن ثم يتحتم حظره . وذات يوم مشؤوم بلغ بهم الأمر أن قاموا بتفجير وجه تمثال بوذا في جيهان أباد الذي كان منحوتاً في جانب الجبل ويرتفع ثلاثة وعشرين قدماً في السماء. ولم يكن يفصله عن منجورا سوى نصف ساعة بالسيارة . ويقول علماء الآثار إن أهميته كانت تعادل تقريباً أهمية تماثيل بوذا في باميان التي قامت طالبان أفغانستان بنسفها.

تطلَّب الامر منهم محاولتين لتدميره، ففي المرة الاولي صنعوا تجاويف في الصخرة وحشوها بالديناميت. ولكنها لم تفلح. وبعد بضعة أسابيع ، في الثامن من اكتوبر 2007، حاولوا مرة أخرى وتمكنو من إزالة وجه بوذا، الذي ظلّ شاهداً على الوادي منذ القرن السابع. أظهر الطالبان أيضا العداء للفنون الجميلة وللثقافة ولتاريخنا وهو ما حدا بالقائمين على متحف سوات بنقل محتوياته بعيداً لحمايتها. لقد دمر الطالبان كل قديم لدينا، ولم يأتونا بأي جديد، فقد استولوا على جبل الزمرد بمنجمه وأخذوا يبيعون الاحجار الكريمة من اجل شراء أسلحتهم القبيحة. وكانوا يتقاضون أموالاً من الاشخاص الذين يقطعون اشجارنا الثمينة للحصول على الخشب، ثم يتقاضوا أمولا اكثر للسماح لهم بمرور شحناتهم .

امتد نطاق تغطية إذاعتهم حتى شمل ربوع الوادي والمناطق المجاورة. ورغم أننا ما زلنا نحتفظ بتلفزيوننا فقد اغلقوا قنوات الكيبل ولم يعد باستطاعة منيبة أو أنا أن نشاهد برامجنا المفضله مما تعرضه القنوات الهندية مثل (*شاراراث*) او (مسبب المشاكل). بدا أن الطالبان لا يريدون لنا أن نفعل اي شيء إنهم حظروا إحدى لعباتنا المفضله. واسمها "*كارروم*" التي نصوب خلالها بقطع معدنية على لوحة خشبية. وقد سمعنا حكايات مفادها أن الطالبان ما إن يسمعوا ضحكات أطفال حتى يقتحموا المنزل ويحطموا اللوحات. بدأنا نشعر كما لو ان الطالبان يرون اننا دُومى صغيرة بمقدورهم أن يتحكموا فيها، فيحددون لنا ماذا نفعل وكيف نلبس .

كنت اقول في نفسي لو أن الله أراد لنا أن نكون كما يريدنا الطالبان، لما خلقنا جميعاً *مختلفين* عن بعضنا بعضاً.

وذات يوم وجدنا معلمتنا حميدة تبكي بكاً شديداً. كان زوجها يعمل شرطياً في مدينة ماتا الصغير التي هاجمها رجال فضل الله ما أسفر عن مقتل عدد من ضباط الشرطة كان من بينهم زوجها. وكان هذا الهجوم هو الاول من نوعه الذي تشنه الطالبان على الشرطة في الوادي، ثم سرعان ما احكموا سيطرتهم على قرى كثيرة اخرى. بدأت الاعلام ذات اللونين الابيض والاسود الخاصة بحركة تطبيق الشريعة ترفرف فوق مراكز الشرطة. كان المسلحون يدخلون القرى وهم يحملون مكبرات الصوت، فما يكون من رجال الشرطة إلا أن يلوذوا بالفرار. وخلال فترة وجيزة استولوا على تسع وخمسين قرية وأنشأوا نظاماً إدارياً موازياً. وقد انتابت رجال الشرطة حالة من هلع القتل حتى إن بعضهم وضع إعلانات في الصحف كي يعلن من خلالها انه ترك الخدمة في جهاز الشرطة.

كان كل ذلك يحدث دون أن يحرك أحدٌ ساكناً . بدا الامر كما لو أن الجميع قد دخل حالة غيبوبة . أما والدي فكان يرى أن الناس قد أغواهم فضل الله ، فالتحق بعضهم برجاله ، ظناً أن ذلك سوف يضمن لهم عَيشاً أفضل . حاول والدي أن يتصدى لدعايتهم ، ولكن الأمر كان صعباً.

الخاتمــة

القصد من هذه الخاتمة الوصول بالقارئ إلى نهاية معقولة وإيجاد الربط بين الصفحة الأخيرة بالنص المطلوب ترجمته ونهاية الفقرة في النص الأصلي بالكتاب.

"I have no militants and no FM radio", he joked. He even dared to enter the Radio Mullah's own village one day to speak at a school. He crossed the river in one of the metal boxes suspended from a pulley that we use as makeshift bridges. On the way he saw smoke so high it touched the clouds, the blackest smoke he'd ever seen. At first he thought it might be a brick factory, but as he approached he saw bearded figures in turbans burning TVs and computers. In the school my father told the people, 'I saw your villagers burning these things. Don't you realise the only ones who will profit are the companies in Japan, who will just make more?' Someone came up to him and whispered, "Don't speak any more in this way -it's risky: Meanwhile the authorities, like most people, did nothing.

كان كل ذلك يحدث دون أن يحرك أحدٌ ساكناً . بدا الأمر كما لو أن الجميع قد دخل حالة غيبوبة . أما والدي فكان يرى أن الناس قد أغواهم فضل الله ، فالتحق بعضهم برجاله ، ظناً أن ذلك سوف يضمن لهم عَيشاً أفضل . حاول والدي أن يتصدى لدعايتهم ، ولكن الأمر كان صعباً. وقال مازحاً: "ليس لدي أي مسلحين ولا إذاعة أف أم"، بل لقد وانتة الجرأة ذات يوم وقرر الذهاب إلى قرية (الملا راديو) ليلقى كلمة فى مدرسة، واجتاز النهر في صندوق معلق عبر بكرة نستخدمها بديلاً عن الجسور. وفي طريقة إلى القرية رأى عمود دخان أسود يتصاعد لأعلى حتى لامس السحاب، ولم يكن قد رأى فى حياته دخاناً أشد سواداً من ذلك. ظنه في أول الأمر ينبعث من مصنع للطوب الأحمر، ولكنه عندما اقترب رأى أشخاصاً ذوي لحى وعمامات يحرقون أجهزة تلفاز وحواسيب.

وفى المدرسة قال والدي للحضور: "لقد رأيت أهل قريتكم يحرقون هذه الأجهزة، ألا ترون أن المستفيد الوحيد هى الشركات اليابانية التي ستصنع المزيد؟"

جاءه شخص ما وهمس له: "لاتتكلم بهذه الطريقة أكثر من ذلك، هناك خطر" وفي أثناء ذلك، مثلما هو حال معظم الناس، لم تحرك السلطات ساكناً.

The Source Text

The most important part ofthe mock wedding was jewellery. We took earrings, bangles and necklaces to decorate the bride, singing Bollywood songs as we worked. Then we would put make-up on her face that we'd taken from our mothers, dip her hands in hot limestone and soda to make them white, and paint her nails red with henna. Once she was ready, the bride would start crying and we would stroke her hair and try to convince her not to worry. 'Marriage is part of life; we said. 'Be kind to your mother-in-law and father-in-law so they treat you well. Take care ofyour husband and be happy:

Occasionally there would be real weddings with big feasts which went on for days and left the family bankrupt or in debt. The brides would wear exquisite clothes and be draped in gold, necklaces and bangles given by both sides ofthe family. I read that Benazir Bhutto insisted on wearing glass bangles at her wedding to set an example but the tradition ofadorning the bride still continued. Sometimes a plywood coffin would be brought back from one ofthe mines. The women would gather at the house ofthe dead man's wife or mother and a terrible wailing would start and echo round the valley, which made my skin crawl.

At night the village was very dark with just oil lamps twinkling in houses on the hills. None ofthe older women had any education but they all told stories and recited what we call *tapey*, Pashto couplets. My grandmother was particularly good at them. They were usually about love or being a Pashtun. 'No Pashtun leaves his land ofhis own sweet will; she would say. 'Either he leaves from poverty or he leaves for love: Our aunts scared us with ghost stories, like the one about Shalgwatay, the twenty-fingered man, who they warned would sleep in our beds. We would cry in terror, though in fact as 'toe' and 'finger' in Pashto is the same, we were all twenty-fingered, but we didn't realise. To make us wash, our aunts told stories about a scary woman called Shashaka, who would come after you with her muddy hands and stinking breath if you didn't take a bath or wash your hair, and turn you into a dirty woman with hair like rats' tails filled with insects.

She might even kill you. In the winter when parents didn't want their children to stay outside in the snow they would tell the story about the lion or tiger which must always make the first step in the snow. Only when the lion or tiger has left their footprint were we allowed to go outside.

As we got older the village began to seem boring. The only television was in the *hujra* ofone ofthe wealthier families, and no one had a computer.

Women in the village hid their faces whenever they left their purdah quarters and could not meet or speak to men who were not their close relatives. I wore more fashionable clothes and didn't cover my face even when I became a teenager. One of my male cousins was angry and asked my father, 'Why isn't she covered?' He replied, 'She's my daughter. Look after your own affairs: But some of the family thought people would gossip about us and saywe were not properly following *Pashtunwali*.

I am very proud to be a Pashtun but sometimes I think our code ofconduct has a lot to answer for, particularly where the treatment ofwomen is concerned. A woman named Shahida who worked for us and had three small daughters, told me that when she was only ten years old her father had sold her to an old man who already had a wife but wanted a younger one. When girls disappeared it was not always because they had been married off. There was a beautiful fifteen-year-old girl called Seema. Everyone knew she was in love with a boy, and sometimes he would pass by and she would look at him from under her long dark lashes, which all the girls envied. In our society for a girl to flirt with any man brings shame on the family, though it's all right for the man. We were told she had committed suicide, but we later discovered her own family had poisoned her.

We have a custom called *swara* by which a girl can be given to another tribe to resolve a feud. It is officially banned but still continues. In our village there was a widow called Soraya who married a widower from another clan which had a feud with her family. Nobody

can marry a widow without the permission of her family. When Sorayas family found out about the union they were furious. They threatened the widower's family until a *jirga* was called ofvillage elders to resolve the dispute. The *jirga* decided that the widower's family should be punished by handing over their most beautiful girl to be married to the least eligible man ofthe rival clan. The boy was a good-for-nothing, so poor that the girl's father had to pay all their expenses. Why should a girl's life be ruined to settle a dispute she had nothing to do with?

When I complained about these things to my father he told me that life was harder for women in Afghanistan. The year before I was born a group called the Taliban led by a one-eyed mullah had taken over the country and was burning girls' schools. They were forcing men to grow beards as long as a lantern and women to wear burqas. Wearing a burqa is like walking inside big fabric shuttlecock with only a grille to see through and on hot days it's like an oven. At least I didn't have to wear one. He said that the Taliban had even banned women from laughing out loud or wearing white shoes as white was (a colour that belonged to men. Women were being locked up and beaten just for wearing nail varnish. I shivered when he told me such things.

I read my books like *Anna Karenina* and the novels ofJane Austen and trusted in my father's words: (Malala is free as a bird: When I heard stories of the atrocities in Afghanistan I felt proud to be in Swat. (Here a girl can go to school; I used to say. But the Taliban were just around the corner and were Pashtuns like *us.* For me the valley was a sunny place and I couldn'~ see the clouds gathering behind the mountains. My father used to say, (I will protect your freedom, Malala. Carryon with your dreams.

5

Why I Don't Wear Earrings and Pashtuns Don't Say Thank You

y THE AGE of seven I was used to being top of my class. I was the one who would help other pupils who had difficulties. 'Malala is a genius girl: my class fellows would say. I was also known for participating in everything -badminton, drama, cricket, art, even singing, though I wasn't much good. So when a new girl named Malka-e-Noor jOined our class, I didn't think anything of it. Her name means 'Queen of Light' and she said she wanted to be Pakistan's first female army chief. Her mother was a teacher at a different school, which was unusual as none of our mothers worked. To begin with she didn't say much in class. The competition was always between me and my best friend Moniba, who had beautiful writing and presentation, which the examiners liked, but I knew I could beat her on content. So when we did the end-of-year exams and Maika-*e*-Noor came first, I was shocked. At home I cried and cried and had to be comforted by .my mother

Around that time we moved away from where we had been living on the same street as Moniba to an area where I didn't have any friends. On our new road there was a girl called Safina, who was a bit younger than me, and we started to play together. She was a pampered girl who had lots of dolls and a shoebox full of jewellery. But she kept eyeing up the pink plastic pretend mobile phone my father had bought

me, which was one of the only toys I had. My father was always talking on his mobile so I loved to copy him and pretend to make calls on mine. One day it disappeared. A few days later I saw Safina playing with a phone exactly the same as mine. (Where did you get that?' I asked. (I bought it in the bazaar: she said. I realise now she could have been telling the truth but back then I thought, *She is doing this to me and I will do the same to her.* I used to go to her house to study, so whenever I was there I would pocket her things, mostly toy jewellery like earrings and necklaces. It was easy. At first stealing gave me a thrill, but that did not last long. Soon it became a .compulsion. I did not know how to stop

One afternoon I came home from school and rushed into the kitchen as usual for a snack. (Hello, *Bhabi!'* I called. (I'm starving!' There was silence. My mother was sitting on the floor pounding spices, brightly coloured turmeric and cumin, filling the air with their aroma. Over and over she pounded. Her eyes would not meet mine. What had I done? I was very sad and went to my room. When I opened my cupboard, I .saw that all the things I had ·taken were gone. I had been caught

My cousin Reena came into my room. (They knew you were stealing: she said. (They were waiting for you to come clean but you' :just kept on

I felt a terrible sinking feeling in my stomach. I walked back to my mother with my head bowed. (What you did was wrong, Malala: she said. Are you trying to bring shame on us that we can't afford to buy such things?' (It's not true!' I lied. (I didn't take them: But she knew I had. (Safina started it: I protested. (She took the pink phone that *Aba* bought me: My mother was unmoved. 'Safina is younger than you and you should have taught .her better; she said. (You should have set an example: I started crying and apologised over and over again. (Don't tell *Aba,'* I begged. I couldn't bear for him to be disappointed in me. It's horrible to feel unworthy in the eyes ofyour parents. It wasn't the first time. When I was little I went to the bazaar with my mother and spotted a pile ofalmonds on a cart. They looked so tasty that I couldn't

resist grabbing a handful. My mother told me offand apologised to the cart owner. He was furious and would not be placated. We still had little money and my mother checked her purse to see what she had. (Can you sell them to me for ten rupees?' she asked. (No: he replied. 'Almonds are very costly: My mother was very upset and told my father. He immediately went and bought the whole lot from the man .and put them in a glass dish

Almonds are good: he said. (If you eat them with milk just before' bed it makes you brainy: But I knew he didn't have much money and the almonds in the dish were a reminder of my guilt. I promised myself I'd never do such a thing again. And now I had. My mother took me to say sorry to Safina and her parents. It was very hard. Safina said nothing about my phone, which didn't seem fair, but I didn't .mention it either

Though I felt bad, I was also relieved it was over. Since that day I have never lied or stolen. Neither a single lie nor a single penny, not even the coins my father leaves around the house, which we're allowed to buy snacks with. I also stopped wearing jewellery because I asked myself, *what are these baubles which tempt me? Why should I lose my character for a few metal trinkets?* But I still feel guilty, and to this .day I say sorry to God in my prayers

My mother and father tell each other everything so *Aba* soon found out why I was so sad. I could see in his eyes that I had failed him. I wanted him to be proud of me, like he was when I was presented with the first-in-year trophies at school. Or the day our kindergarten teacher Miss Ulfat told him I had written, (Only Speak in Urdu: on the blackboard for my classmates at the start of an Urdu lesson so we .would learn the language faster

My father consoled me by telling me about the mistakes great heroes made when they were children. He told me that Mahatma Gandhi said, (Freedom is not worth having if it does not include the freedom to make mistakes: At school we had read stories about Mohammad Ali Jinnah. As a boy in Karachi he would study by the

glowofstreetlights because there was no light at home. He told other boys to stop playing marbles in the dust and to play cricket instead so their clothes and hands wouldn't get dirty. Outside his office my father had a framed copy ofa letter written by Abraham Lincoln to his son's teacher, translated into Pashto. It is a very beautiful letter, full of good advice. (Teach him, if you can, the wonder of books ... But also give him quiet time to ponder the eternal mystery of birds in the sky, bees in the sun, and the flowers on a green hillside; it says. (Teach him it is
:far more honourable to fail than to cheat
I think everyone makes a mistake at least once in their life. The important thing is what you learn from it. That's why I have problems with our *Pashtunwali* code. We are supposed to take revenge for wrongs done to us, but where does that end? If a man in one family is killed or hurt by another man, revenge must be exacted to restore *nang*. It can be taken by killing any male member of the attacker's family. Then that family in turn must take revenge. And on and on it goes. There is no time limit. We have a saying: (The Pashtun took
:revenge after twenty years and another said it was taken too soon
We are people ofmany sayings. One is (The stone ofPashto does not rust in water; which means we neither forget nor forgive. That's also why we rarely say thank you, *manana*, because we believe a Pashtun will never forget a good deed and is bound to reciprocate at some point, just as he will a bad one. Kindness can only be repaid with kindness. It can't be repaid with expressions like (thank you: Many families live in walled compounds with watchtowers so they can keep an eye out for their enemies. We knew many victims offeuds. One was Sher Zaman, a man who had been in my father's class and always got better grades than him. My grandfather and uncle used to drive my father mad, teasing him, (You're not as good as Sher Zaman; so much he once wished that rocks would come down the mountain and flatten him. But Sher Zaman did not go to college and ended up becoming a dispenser in the village pharmacy. His family became embroiled in a dispute with their cousins over a small plot offorest. One day, as Sher

Zaman and two ofhis brothers were on their way to the land, they were ambushed by his uncle and some ofhis men. All three brothers were killed.

As a respected man in the community, my father was often called on to mediate feuds. He did not believe in *badal* -revenge -and would try to make people see that neither side had anything to gain from continuing the violence, and it would be better for them to get on with their lives. There were two families in our village he could not convince. They had been locked in a feud for so long no one even seemed to remember how it had started -probably some small slight as we are a hot-headed people. First a brother on one side would attack an uncle on the other. Then vice versa. It consumed their lives.

Our people say it is a good system, and our crime rate is much lower than in non-Pashtun areas. But I think that if someone kills your brother, you shouldn't kill them or their brother, you should teach them instead. I am inspired by Khan Abdul Ghaffar Khan, the man who some call the Frontier Gandhi, who introduced a non-violent philosophy to our culture.

It's the same with stealing. Some people, like me, get caught and vow they will never do it again. Others say, 'Oh it's no big deal-it was just a little thing: But the second time they will steal something bigger and the third something bigger still. In my country too many politicians think nothing of stealing. They are rich and we are a poor country yet they loot and loot. Most of them don't pay tax, but that's the least of it. They take out loans from state banks but they don't pay them back. They get kickbacks on government contracts from friends or the companies they award them to. Many ofthem own expensive flats in London.

I don't know how they can live with their consciences when they see our people going hungry or sitting in the darkness of endless power cuts, or children unable to go to school as their parents need them to work. My father says that Pakistan has been cursed with more than its fair share ofpoliticians who only think about m oney. They

don't care if the army is actually flying the plane, they are happy to stay out of the cockpit and sit in business class, close the curtains and enjoy the fine food and service while the rest ofus are squashed in economy.

I had been born into a sort of democracy in which for ten years Benazir Bhutto and Nawaz Sharif kept replacing each other, none of their governments ever completing a term and always accusing each other of corruption. But two years after I was born the generals again took over. It happened in a manner so dramatic that it sounds like something out of a movie. Nawaz Sharif was prime minister at the time and had fallen out with his army chief General Pervez Musharraf and sacked him. At the time General Musharraf was on a plane of our national airline PIA coming back from Sri Lanka. Nawaz Sharifwas so worried about his reaction that he tried to stop the plane from landing in Pakistan. He ordered Karachi airport to switch off its landing lights and to park fire engines on the runway to block the plane even though it had 200 other passengers on board and not enough fuel to get to another country. Within an hour of the announcement on television of Musharraf's sacking, tanks were on the streets and troops had taken over the newsrooms and the airports. The local commander, General Iftikhar, stormed the control tower at Karachi so that Musharraf's plane could land. Musharraf then seized power and threw Sharif into a dungeon in Attock Fort. Some people celebrated by handing out sweets as Sharifwas unpopular, but myfather cried when he heard the news. He had thought we were done with military dictatorships. Sharif was accused oftreason and only saved by his friends in the Saudi royal family, who arranged his exile.

Musharraf was our fourth military ruler. Like all our dictators, he started by addressing the nation on TV, beginning, *'Mere aziz hamwatano'* -'My dear countrymen' -then went into a long tirade against Sharif, saying that under him Pakistan had 'lost our honour, dignity and respect: He vowed to end corruption and go after those (guilty ofplundering and looting the national wealth'. He promised he would make his own assets and tax return public. He said he would only run the country for a short time, but no one believed him. General Zia had promised to be in power for ninety days and had stayed more than eleven years until he was killed in an air crash. It's the same old

story, my father said, and he was right. Musharraf promised to end the old feudal system by which the same few dozen families controlled our entire country, and bring fresh young clean faces into politics. Instead his cabinet was made up of the very same old faces. Once again our country was expelled from the Commonwealth and became an international black sheep. The Americans had already suspended most aid the year before when we conducted nuclear tests, but now almost everyone boycotted *us*.

With such a history, you can see why the people ofSwat did not always think it was a good idea to be part of Pakistan. Every few years Pakistan sent us a new deputy commissioner, or DC, to govern Swat, just as the British had done in colonial days. It seemed to us that these bureaucrats came to our province simply to get rich, then went back home. They had no interest in developing Swat. Our people are used to being subservient because under the waH no criticism was tolerated. If anyone offended him, their ·entire family could be expelled from Swat. So when the DCs came from Pakistan, they were the new kings and no one questioned them. Older people often looked back nostalgically to the days of the last waH. Back then, they said, the mountains were all still covered in trees, there were schools every five kilometres and the waH sahib would visit them in person to resolve problems.

After what happened with Safina, I vowed that I would never treat a friend badly again. My father always says it's important to treat friends well. When he was at college and had no money for food or books many of his friends helped him out and he never forgot that. I have three good friends -Safina.from my area, Sumbul from the village and Moniba from schooL Moniba had become my best friend in primary school when we lived near each other, and I persuaded her to come to our school. She is a wise girl, though we often fall out, particularly when we go on school trips. She comes from a large family with three sisters and four brothers. I think of her as my big sister even though I

am six months older than her. Moniba sets down rules which I try to follow. We don't have secrets from each other and we don't share our secrets with anyone else. She doesn't like me talking to other girls and says we must be careful ofassociating with people who are badly behaved or have a reputation for trouble. She always says, 'I have four brothers, and if I do even the slightest thing wrong they can stop me going to school: I was so eager not to disappoint my parents that I ran errands for anyone. One day our neighbours asked me to buy some maize for them from the bazaar. On the way a boy on a bicycle crashed into me and my left shoulder hurt so much that my eyes watered. But I still went and bought the maize, took it to my neighbours and then went home. Only then did I cry. Shortly after that I found the perfect way to try to win back the respect ofmy father. Notices had gone up at school for a public speaking competition and Moniba and I both decided to enter. I remembered the story of my .father surprising my grandfather and longed to do the same

When we got the topic, I couldn't believe my eyes. It was 'Honesty is the best policy: The only practice we'd had was reading out poems at morning assembly, but there was an older girl at school called Fatima who was a very good speaker. She was beautiful and spoke in an animated way. She could speak confidently in front of hundreds of people and they would hang on her every word. Moniba and I longed .to be like her and studied her carefully

In our culture speeches are usually written by our fathers, uncles or teachers. They tend to be in English or Urdu, not in our native Pashto. We thought speaking in English meant you were more intelligent. We were wrong, ofcourse. It does not matter what language I AM MALALA you choose, the important thing is the words you use to express yourself. Moniba's speech was written by one ofher older brothers. She quoted beautiful poems by Allama Iqbal, our national poet. My father wrote my speech. In it he argued that ifyou want to do well, but do it in a bad way, that's still bad. In the same way, ifyou choose a good method to do something bad it's still bad. He ended it

.'with Lincoln's words: (it is far more honourable to fail than to cheat
On the day only eight or nine boys and girls turned up. Moniba spoke well -she was very composed and her speech was more emotional and poetic than mine, though mine might have had the better message. I was so nervous before the speech, I was trembling with fear. My grandfather had come to watch and I knew he really wanted me to win the competition; which made me even more nervous. I remembered what my father had said about taking a deep breath before starting, but then I saw that all eyes were on me and I rushed through. I kept losing my place as the pages danced in my shaking hands, but as I ended with Lincoln's words, I looked up at my .father. He was smiling

When the judges announced the results at the end, Moniba had won. .I came second

It didn't matter. Lincoln also wrote in the· letter to his son's teacher, (Teach him how to gracefully lose: I was used to coming top of my class. But I realised that, even if you win three or four times, the next victory will not necessarily be yours without trying -and also that sometimes it's better to tell your own story. I started writing my own speeches and changing the way I delivered them, from my heart rather .than from a sheet ofpaper

6

Children ofthe Rubbish Mountain

AT THE KHUSHAL School started to attract more pupils; we moved again and finally had a television. My favourite programme was *Shaka Laka Boom Boom,* an Indian children's series about a boy called Sanju who has a magic pencil. Everything he drew became real. Ifhe drew a vegetable or a policeman, the vegetable or policeman would magically appear. If he accidentally drew a snake he could erase it and the snake would disappear. He used his pencil to help people -he even saved his parents from gangsters -and I wanted that magic pencil more .than anything else in the world

At night I would pray, 'God, give me Sanju's pencil. I won't tell anyone. Just leave it in my cupboard. I will use it to make everyone happy: As soon as I finished praying, I would check the drawer. The pencil was never there, but I knew who I would help first. Just along the street from our new house was an abandoned strip ofland that people used as a rubbish dump -there is no rubbish collection in Swat. Quickly, it became a rubbish mountain. I didn't like walking near it as it smelt so bad. Sometimes we would spot rats_running through it and .crows would circle overhead

One day my brothers were not home and my mother had asked me to throwaway some potato peel and eggshells. I wrinkled my nose as I approached, swatting away flies and making sure I didn't step on anything in my nice shoes. As I threw the rubbish on the mountain of rotting food, I saw something move and I jumped. It was a girl about my age. Her hair was matted and her skin was covered in sores. She

looked like I imagined Shashaka, the dirty woman they told us about in tales in the village to make us wash. The girl had a big sack and was sorting rubbish into piles, one for cans, one for bottle tops, and another for glass and another for paper. Nearby there were boys fishing in the pile for metal using magnets on strings. I wanted to talk to the children .but I was too scared

That afternoon, when my father came home from school, I told him about the scavenger children and begged him to go with me to look. He tried to talk to them but they ran away. He explained that the children would sell what they had sorted to a garbage shop for a few rupees. The shop would then sell it on at a profit. On the way back home I noticed that he was in tears. *(Aba*, you must give them free places at your school; I begged. He laughed. My mother and I had already persuaded him to give free places to a number ofgirls. Though my mother was not educated, she was the practical one in the family, the doer while my father was the talker. She was always out helping people. My father would get angry sometimes -he would arrive home at lunchtime and call out, (Tor Pekai, I'm ' home!' only to find she was out and there was no lunch for him. Then he would find she was at the hospital visiting someone who was ill, or had gone to help a family, so he could not stay cross. Sometimes though she would be out because she was shopping for clothes in the Cheena Bazaar, and that would be a different matter. Wherever we lived my mother filled our house with people. I shared my room with my cousin Aneesa from the village, who had come to live with us so she could go to school, and a girl called Shehnaz whose mother Sultana had once worked in our house. Shehnaz and her sister had also been sent out to collect garbage after their father had died leaving them very poor. One of her brothers was mentally ill and was always doing strange things like setting fire to their clothes or selling the electric fan we gave them to keep cool. Sultana was very short-tempered and my mother did not like having her in the house, but my father arranged a small allowance for her and a place for Shehnaz and her other brother at his school. Shehnaz had never been to school, so even though she was two years older than me she was put two classes below, and she came to live with us so that I could help her. There was also Nooria, whose mother Kharoo did some of our washing and cleaning, and Alishpa, one of the daughters of Khalida, the woman who helped my mother with the cooking. Khalida had been sold into marriage to an old man who used to beat

her, and eventually she ran away with her three daughters. Her own family would not take her back because it is believed that a woman who has left her husband has brought shame on her family. For a while her daughters also had to collect rubbish to survive. Her story was like something out ofthe novels I had started reading. The school had expanded a lot by then and had three buildings the original one in Landikas was a primary school, and then there was a high school for girls on Yahya Street and one for boys with a big garden of roses near the remains ofthe Buddhist temple. We had about 800 students in total, and although the school was not really making money, my father gave away more than a hundred free places. One of them was to a boy whose father, Sharafat Ali, had helped my father when he was a penniless college student. They were friends from the village. Sharafat Ali worked at the electricity company and he would give my father a few hundred rupees whenever he could spare them. My father was happy to be able to repay his kindness. Another was a girl in my class called Kausar, whose father embroidered clothes and shawls ~ a trade our region is famous for. When we went on school trips to visit the mountains, I knew she couldn't afford them so I would pay for her with my pocket money.

Giving places to poor children didn't just mean my father lost their fees. Some ofthe richer parents took their children out ofthe school when they realised they were sharing classrooms with the sons and daughters ofpeople who cleaned their houses or stitched their clothes. They thought it was shameful for their children to mix with those from poor families. My mother said it was hard for the poor children to learn when they were not getting enough food at home so some ofthe girls would come to our house for breakfast. My father joked that our home had become a boarding house.

Having so many people around made it hard to study. I had been delighted to have my own room, and my father had even bought me a dressing table to work on. But now I had two other girls in the room. 'I want space!' I'd cry. But then I felt guilty as I knew we were lucky. I

thought back to the children working on the rubbish heap. I kept seeing the dirty face ofthe girl from the dump and continued to pester .my father to give them places at our school

He tried to explain that those children were breadwinners so if they went to school, even for free, the whole family would go hungry. However, he got a wealthy philanthropist, Azaday Khan, to pay for him to produce a leaflet asking, *'Kia hasool e elum in bachun ka haq nahe?'* -'Is education not the right of these children?' My father printed thousands of these leaflets, left them at local meetings and distributed them around town. By then my father was becoming a well-known figure in Swat. Even though he was not a khan or a rich man, people listened to him. They knew he would have something interesting to say at workshops and seminars and wasn't afraid to criticise the authorities, even the army, which was now running our country. He was becoming known to the army too, and friends told him that the local commander had called him 'lethal' in public. My father didn't know what exactly the brigadier meant, but in our country, where the .army is so powerful, it did not bode well

One of his pet hates was the 'ghost schools: Influential people in remote areas took money from the government for schools which never saw a single pupil. Instead they used the buildings for their *hujras* or even to keep their animals. There was even a case of a man drawing a teacher's pension when he had never taught a day in his life. Aside from corruption and bad government, my father's main concern .in those days was the environment

Mingora was expanding quickly -around 175,000 people now called it home -and our once-fresh air was becoming very polluted from all the vehicles and cooking fires. The beautiful trees on our hills and mountains were being chopped down for timber. My father said only around half the towns population had access to safe drinking water and most, like us, had no sanitation. So he and his friends set up something

called the Global _Peace Council which, despite its name, had very local concerns. The name was ironic and my father often laughed about it, but the organisations aim was serious: to preserve the environment of Swat and promote peace and education among local .people

My father also loved to write poetry, sometimes about love, but often on controversial themes such as honour killings and women's rights. Once he visited Afghanistan for a poetry festival at the Kabul Intercontinental Hotel, where he read a poem about peace. It was mentioned as the most inspiring in the closing speech, and some in the audience asked him to repeat whole stanzas and couplets, exclaiming *'Wah wah'* when a particular line pleased them, which is a bit like 'Bravo'. Even my grandfather was proud. 'Son, may you be the star in .the sky ofknowledge: he used to say

We too were proud, but his higher profile meant we didn't see him very much. It was always our mother who shopped for our clothes and took us to hospital if we were ill, even though in our culture, particularly for those ofus from villages, a woman is not supposed to do these things alone. So one of my father's nephews would have to go along. When my father was at home, he and his friends sat on the roof at dusk and talked politics endlessly. There was really only one subject -9/11. It might have changed the whole world but "'<Ne were living right in the epicentre ofeverything. Osama bin Laden, the leader ofal-Qaeda, had been living in Kandahar when the attack on the World Trade Center happened, and the Americans had se t thousands oftroops to Afghanistan to catch him and overthrow the Taliban .regime which had protected him

In Pakistan we were still under a dictatorship, but America needed our help, just as it had in the *1980s* to fight the Russians in Afghanistan. Just as the Russian invasion of Afghanistan had changed everything for General Zia, so 9/11 transformed General Musharraf from an international outcast. Suddenly he was being invited to the

White House by George W. Bush and to 10 Downing Street by Tony Blair. There was a major problem, however. Our own intelligence service, lSI, had virtuallycreated the Taliban. Many lSI officers were close to its leaders, having known them for years, and shared some of their beliefs. The lSI's Colonel Imam boasted he had trained 90,000 Taliban fighters and even became Pakistan's consul general in Herat during the Taliban regime.

We were not fans of the Taliban as we had heard they destroyed girls' schools and blew up giant Buddha statues -we had many Buddhas ofour own that we were proud of. But many Pashtuns did not like the bombing ofAfghanistan or the way Pakistan was helping the Americans, even ifit was only by allowing them to cross our airspace and stopping weapons supplies to the Taliban. We did not know then that Musharraf was also letting the Americans use our airfields.

Some of our religious people saw Osama bin Laden as a hero. In the bazaar you could buy posters of him on a white horse and boxes ofsweets with his picture on them. These clerics said 9/11 was revenge on the Americans for what they had been doing to other people round the world, but they ignored the fact that the people in the World Trade Center were innocent and had nothing to do with American policy and that the Holy Quran clearly says it is wrong to kill. Our people see conspiracies behind everything, and many argued that the attack was actually carried out by Jews as an excuse for America to launch a war on the Muslim world. Some of our newspapers printed stories that no Jews went to work at the World Trade Center that day. My father said this was rubbish.

Musharraftold our people that he had no choice but to cooperate with the Americans. He said they had told him: ‘Either you are with us, or you are with the terrorists: and threatened to 'bomb us back to the Stone Age' if we stood against them. But we weren't exactly cooperating as the lSI was still arming Taliban fighters and giving their leaders sanctuary in Quetta. They even persuaded the AUleri·· cans to let them fly hundreds of Pakistani fighters out of nord ern

Afghanistan. The lSI chief asked the Americans to hold off their attack on Afghanistan until he had gone to Kan<:lahar to ask the Taliban leader Mullah Omar to hand over bin Laden; instead he offered the .Taliban help

In our province Maulana Sufi Mohammad, who had fought in Afghanistan against the Russians, issued a fatwa against the US. fIe held a big meeting in Malakand, where our ancestors had fought the British. The Pakistani government didn't stop him. The governor of our province issued a statement that anyone who wanted to fight in Afghanistan against NATO forces was free to do so. Som e 12,000 young men from Swat went to help the Taliban. Many never came back. They were most likely killed, but as there is no proofof death, their wives can't be declared widows. It's very hard on them. My father's close friend Wahid Zaman's brother and brother-in-·law were among the many who went to Afghanistan. Their wives and children are still waiting for them. I remember visiting them and feeling their longing. Even so, it all seemed far, far away from our peaceful garden valley. Afghanistan is less than a hundred miles away, but to get there you have to go through Bajaur, one of the tribal areas between .Pakistan and the border with Afghanistan

Bin Laden and his men fled to the White Mountains ofTora Bora in eastern Afghanistan, where he had built a network of tunnels while fighting the Russians. They escaped through these and over the mountains into Kurram, another tribal agency. What we didn't know then was that bin Laden came to Swat and stayed in a remote village .for a year, taking advantage of the *Pashtunwali* hospitality code

Anyone could see that Musharraf was double-dealing, taking American money while still helping the jihadis -(strategic assets: as the lSI calls them. The Americans say they gave Pakistan billions of dollars to help their campaign against al-Qaeda but we didn't see a single cent. Musharraf built a mansion by Rawal Lake in Islamabad and bought an apartment in London. Every so often an important American official would complain that we weren't doing enough and

then suddenly some big fish would be caught. Khalid Sheikh Mohammad, the mastermind of9/11, was found in a house just a mile from the army chief's official residence in Rawalpindi. But President Bush kept praising Musharraf, inviting him to Washington and calling him his buddy. My father and his friends were disgusted. They said .the Americans always preferred dealing with dictators in Pakistan

From an earlyage I was interested in politics and sat on myfather's knee listening to everything he and his friends discussed. But I was more concerned with matters closer to home -our own street to be exact. I told my friends at school about the rubbish-dump children and that we should help. Not everyone wanted to as they said the children were dirty and probably diseased, and their parents would not like them going to school with children like that. They also said it wasn't up to us to sort out the problem. I didn't agree. (We can sit by and hope the government will help but they won't. If I can help support one or two children and another family supports one or two then between us we can help them all:

I knew it was pointless appealing to Musharraf. In my experience' if my father couldn't help with matters like these, there was only one option. I wrote a letter to God. (Dear God; I wrote, (I know you see everything, but there are so many things that maybe, sometimes, things get missed, particularly now with the bombing in Afghanistan. But I don't think you would be happy if you saw the children on my road living on a rubbish dump. God, give me strength and courage and make me perfect because I want to make this world perfect. Malala:

The problem was I did not know how to get it to him. Somehow I thought it needed to go deep into the earth, so first I buried it in the garden. Then I thought it would get spoilt, so I put it in a plastic bag. But that didn't *seem* much use. We like to put sacred texts in flowing waters, so I rolled it up, tied it to a piece ofwood, placed a dandelion on top and floated it in the stream which flows into the Swat River. Surely God would find it there.

7

The *Mufti* Who Tried to Close Our School

JUST IN FRONT of the school on Khushal Street, where I was born, was the house of a tall handsome mullah and his family. His name was Ghulamullah and he called himselfa *mufti,* which means he is an Islamic scholar and authority on Islamic law, though my father complains that anyone with a turban can call themselves a *maulana* or *mufti.* The school was doing well, and my father was building an impressive reception with an arched entrance [1] in the boy's high school. For the first time my mother could buy nice clothes and even send out for food as she had dreamed ofdoing back in the village. But all this time the *mufti* was watching. He watched [J] the girls going in and out ofour school every day and became angry, particularly as some ofthe girls were teenagers. (That *maulana* has a bad eye on us; said my .father one day. He was right

Shortly afterwards the *mufti* went to the woman who owned the school premises and said, (Ziauddin is running a *haram* school in your building and bringing shame on the *mohalla* [neighbour[l] hood]. These girls should be in purdah: He told her, (Take this building back from him and I will rent it for my madrasa. If you do this you will get paid :now and also receive a reward in the next [1] world

She refused and her son came to my father in secret. (This *maulana* is starting a campaign against you; he warned. (We won't give him the building but be careful: My father was angry. (Just as we say, *«Nim hakim khatrai jan"* -«Half a doctor is a danger to one's life;' so, *«Nim mullah khatrai iman"* -"A mullah who is not fully learned is a danger

.to faith",' he said

I am proud that our country was created as the world's first Muslim homeland, but we still don't agree on what this means. The Quran teaches us *sa bar* -patience -but often it feels that we have forgotten the word and think Islam means women sitting at home in purdah or wearing burqas while men do jihad. We have many strands ofIslam in Pakistan. Our founder Jinnah wanted the rights of Muslims in India to be recognised, but the majority of people in India were Hindu. It was as if there was a feud between two brothers and they agreed to live in different houses. So British India was divided in August 1947, and an independent Muslim state was born. It could hardly have been a bloodier beginning. Millions of Muslims crossed from India, and Hindus travelled in the other direction. Almost two million of them were killed trying to cross the new border. Many were slaughtered on trains which arrived at Lahore and Delhi full of bloodied corpses. My own grandfather narrowly escaped death in the riots when his train was attacked by Hindus on his way home from Delhi, where he had been studying. Now we are a country of 180 million and more than 96 per cent are Muslim. We also have around two million Christians and more than two million Ahmadis, who say they are Muslims though our government says they are not. Sadly those minority communities are often attacked.

Jinnah had lived in London as a young man and trained as a barrister. He wanted a land of tolerance. Our people often quote the famous speech he made a few days before independence: 'You are free to go to your temples, you are free to go to your mosques or to any other place of worship in this State of Pakistan. You may belong to any religion or caste or creed -that has nothing to do with the business of the state: My father says the problem is that Jinnah negotiated a piece of real estate for us but not a state. He died of tuberculosis just a year after the creation of Pakistan and we haven't stopped fighting since. We have had three wars against India and what seems like endless killing inside our own country. We Muslims are split between Sunnis and Shias -we share the leader same fundamental beliefs and

the same Holy Quran but we disagree over who was the right person to lead our religion when the Prophet, PBUH, died in the seventh century. The man chosen to be the or caliph was Abu Bakr, a close friend and adviser of the Prophet, PBUH, and the man he chose to lead prayers as he lay on his deathbed. 'Sunni' comes from the Arabic for 'one who follows the traditions of the Prophet, PBUH: But a smaller group believed that leadership should have stayed within the family ofthe Prophet, PBUH, and that Ali, his son-in-law and cousin, should have taken over. They became known as Shias, shortened from Shia-t-Ali, the Party ofAli.

Every year Shias commemorate the killing of the grandson of the Prophet, PBUH, Hussein Ibn Ali at ~he battle of Karbala in the year 680 with a festival called Muharram. They whip themselves into a bloody frenzy with metal chains or razor blades on strings until the streets run red. One ofmy father's friends are a Shia and he cries whenever he talks about Hussein's death at Karbala. He gets so emotional you would think the events had happened just the night before, not more than 1,300 years ago. Our own founder, Jinnah, was a Shia, and Benazir Bhutto's mother was also a Shia from Iran.

Most Pakistanis are Sunnis like us -more than eighty per cent but within that we are again manygroups. By far the biggest group is the Barelvis, who are named after a nineteenth-century madrasa in Bareilly, which lies in the Indian state ofUttar Pradesh. Then we have the Deobandi, named after another famous nineteenth-century madrasa in Uttar Pradesh, this time in the village ofDeoband. They are very conservative and most ofour madrasas are Deobandi. We also have the Ahl-e-Hadith (people ofthe Hadith), who are Salafists. This group is more Arab-influenced and even more conservative than the others. They are what the West calls fundamentalists. They don't accept our saints and shrines -many Pakistanis are also mystical people and gather at Sufi shrines to dance and worship. Each ofthese strands has many different subgroups.

The *mufti* on Khushal Street was a member of Tablighi Jamaat, a

Deobandi group that holds a huge rally everyyear at its headquarters in Raiwind, near Lahore, attended by millions ofpeople. Our last dictator General Zia used to go there, and in the 1980S, under his regime, the Tablighis became very powerful. Many of the imams appointed to preach in army barracks were Tablighis and army officers would often .take leave and go on preaching tours for the group

One night, after the *mufti* had failed to persuade our landlady to cancel our lease, he gathered some of the influential people and elders of our *mohalla* into a delegation and turned up at our door. There were seven people -some other senior Tablighis, a mosque keeper, a former .jihadi and a shopkeeper -and they filled our small house

My father seemed worried and shooed us into the other room, but the house was small so we could hear every word. <I am representing the Ulema and Tablighian and Taliban: Mullah Ghula-. mullah said, referring to not just one but two organisations of Muslim scholars to give himself gravitas. <I am representing good Muslims and we all think your girls' school is *haram* and a blasphemy: You should close it. Girls should not be going to school: he continued. Agirl is so sacred she should be in purdah, and so private that there is no lady's name in :the Quran as God doesn't want her to be named

My father could listen no more. <Maryam is mentioned everywhere '?in the Quran. Was she not a woman and a good woman at that

No: said the mullah. <She is only there to prove that 1sa [Jesus]> was the son ofMaryam, not the son ofGod!' <That may be: replied my :father. <But I am pointing out that the Quran names Maryam

The *mufti* started to object but my father had had enough. Turning to the group, he said, <When this gentleman passes me on the street, I look to him and greet him but he doesn't answer, he just bows his .head: I AM MALALA

The mullah looked down embarrassed because greeting some-one properly is important in Islam. (You run the *haram* school: he said. (That's why I don't want to greet you: Then one of the other men spoke

up. (I'd heard you were an infidel; he said to my father, (but there are Qurans in your room: (Of course there are!' replied my father, astonished that his faith would be questioned. (I am a Muslim: Let's get back to the subject of the school: said the *mufti*, who could see the discussion was not going his way. (There are men in the reception area of the school, and they see the girls enter, and t very bad: (I have a solution: said my father. (The school has another gate. The girls will enter through that: The mullah dearly wasn't happy as he wanted the school dosed altogether. But the elders were happy with this compromise and they left. My father suspected this would not be the end ofthe matter. What we knew and they didn't was that the *mufti's* own niece attended the school in secret. So a few days later my father called the *mufti's* elder brother, the girl's father. (I am very tired ofyour brother: he said. (What kind ofmullah is he? He's driving us crazy. Can you help to get him off our backs?' (I'm afraid I can't help you, Ziauddin: he replied. (I have trouble in my home too. He lives with us and has told his wife that she must observe purdah from us and that our wives must observe purdah from him, all in this small space. Our wives are like sisters to him and his is like a sister to us, but this madman has made our house a hell. I am sorry but I can't help you: My father was right to think this man was not going to give up -mullahs had become more powerful figures since Zia's rule and campaign ofIslamisation. In some ways General Musharraf was very different from General Zia. Though he usually dressed in uniform, he occasionally wore Western suits and he called himself chief executive instead ofchief martial law administrator. He also kept dogs, which we Muslims regard as unclean. Instead of Zias Islamisation he began what he called (enlightened moderation. He opened up our media, allowing new private TV channels and female newsreaders, as well as showing dancing on television. The celebration ofWestern holidays such as Valentine's Day and New Year's Eve was allowed. He even sanctioned an annual pop concert on the eve of Independence Day, which was broadcast to the nation. He did something which our democratic rulers

hadn't, even Benazir, and abolished the law that for a woman to prove she was raped, she had to produce four male witnesses. He appointed the first woman governor ofthe state bank and the first women airline pilots and coastguards. He even announced we would have female guards at Jinnans tomb in Karachi. However in our Pashtun homeland of the North-West Frontier Province things were very different. In 2002 Musharraf held elections for (controlled democracy: They were strange elections as the main party leaders Nawaz Sharif and Benazir Bhutto were in exile. In our province these elections brought what we called a (mullah government' to power. The Muttahida Majlis e-Amal (MMA) alliance was a group of five religious parties including the Jamiat Ulema-eIslam OUI), which ran the madrasas where the Talibanwere trained. People jokingly referred to the MMA as the Mullah Military Alliance and said they got elected because they had Musharraf's support. 'But some people supported them because the very religious Pashtuns were angry at the American invasion of Afghanistan and the removal ofthe Taliban from power there. Our area had always been more conservative than most of the rest ofPakistan. During the Afghan jihad many madrasas had been built, most ofthem funded by Saudi money, and many young men had passed through them as it was free education. That was the start of what my father calls the 'Arabisation' of Pakistan. Then 9/11 had made this militancy more mainstream. Sometimes when I walked along the main road I saw chalked messages on the sides ofbuildings. CONTACT us FOR JIHAD TRAINING, they would say, listing a phone number to call. In those days jihadi groups were free to do whatever they wanted. You could see them openly collecting contributions and recruiting men. There was even a headmaster from Shangla who would boast that his greatest .success was to send ten boys in Grade 9 for jihad training in Kashmir

The MMA government banned CD and DVD shops and wanted to create a morality police like the Afghan Taliban had set up. The idea was they would be able to stop a woman accompanied by a man and require her to prove that the man was her relative.

Thankfully, our supreme court stopped this. Then MMA activists launched attacks on cinemas and tore down billboards with pictures ofwomen or blacked them out with paint. They even snatched female mannequins from clothing shops. They harassed men wearing Western-style shirts and trousers instead of the traditional halwar kamiz and insisted women cover their heads. It was as though they wanted to remove all traces ofwomankind from public life.

My father's high school opened in 2003. That first year they had boys and girls together, but by 2004 the climate had changed so it was unthinkable to have girls and boys in the same class. That changing climate made Ghulamullah bold. One of the school clerks told my father that the *mufti* kept coming into school and demanding why we girls were still using the main entrance. He said that one day, when a male member of staff took a female teacher out to the main road to get a rickshaw, the *maulana* asked, (Why did this man escort her to the road, is he her brother?' (No: replied the clerk, (he is a colleague: (That is wrong!' said the *maulana.* My father told the clerk to call him next time he saw the maulan~. When the call came, my father and the Islamic studies teacher went out to confront him. *(Maulana,* you have driven me to the wall!' my father said. (Who are you? You are crazy! You need to go to a doctor. You think I enter the school and take my clothes off? When you see a boy and a girl you see a scandal. They are schoolchildren. I think you should go and see Dr Haider Ali!' Dr Haider Ali was a well-known psychiatrist in our area, so to say, 'Shall we take you to Dr Haider Ali?' meant are you mad?' The *mufti* went quiet. He took off his turban and put it in my father's lap. For us a turban is a public symbol ofchivalryand Pashtunness, and for a man to lose his turban is considered a great humiliation. But then he started up again. 'I never said those things to your clerk. He is lying: My

father had had enough. 'You have no business here: he shouted. 'Go away!'

The *mufti* had failed to close our school but his interference was an indication of how our country was changing. My father was worried. He and his fellow activists were holding endless meetings. These were no longer just about stopping people cutting down trees but were also about education and democracy.

In 2004, after resisting pressure from Washington for more than two and a half years, General Musharraf sent the army into the Federally Administered Tribal Areas (FATA), seven agencies that lie along the border with Afghanistan, where the government had little control. The Americans claimed that al-Qaeda militants who had fled from Afghanistan during the US bombing were using the areas as a safe haven, taking advantage of our Pashtun hospitality. From there they were running training camps and launching raids across the border on NATO troops. For us in Swat this was very close to home. One of the agencies, Bajaur, is next to Swat. 1be people who live in the FATA are all from Pashtun tribes like us Yousafzai, and live on both sides of the border with Afghanistan.

The tribal agencies were created in British times as a buffer zone between Afghanistan and·what was then India, and they are still run in the same way, administered by tribal chiefs or elders known as maliks. Unfortunately, the maliks make little difference. In truth the tribal areas are not governed at all. They are forgotten places of harsh rocky valleys where people scrape by on smuggling. (The average annual income is just $250 -half the Pakistani average.) They have very few hospitals and schools, particularly for girls, and political parties were not allowed there until recently. Hardly any women from these areas can read. The people are renowned for their fierceness and independence, as you can see ifyou read any of the old British accounts.

Our army had never before gone into the FATA. Instead they had maintained indirect control in the same way the British had, relying on the Pashtun-recruited Frontier Corps rather than regular soldiers. Sending in the regular army was a tough decision. Not only did our army and lSI have long links with some ofthe militants, but it also meant our troops would be fighting their own Pashtun brothers. The first tribal area that the army entered was South Waziristan, in March 2004. Predictably the local people saw it as an attack on their way oflife. All the men there carry weapons and hundreds ofsoldiers were killed when the locals revolted.

The army was in shock. Some men refused to fight, not wishing to battle their own people. They retreated after just twelve days and reached what they called a 'negotiated peace settlement' with local militant leaders like Nek Mohammad. This involved the army bribing them to halt all attacks and keep out foreign fighters. The militants simply used the cash to buy more weapons and resumed their activities. A few months later came the first attack on Pakistan by a US drone.

On 17 June 2004 an unmanned Predator dropped a Hellfire missile on Nek Mohammad in South Waziristan apparently while he was giving an interview by satellite phone. He and the men around him were killed instantly. Local people had no idea what it was back then we did not know that the Americans could do such a thing. Whatever you thought about Nek Mohammad, we were not at war with the Americans and were shocked that theywould launch attacks from the sky on our soil. Across the tribal areas people were angry and many joined militant groups or formed *lashkars*, local militias.

Then there were more attacks. The Americans said that bin Laden's deputy Ayman al-Zawahiri was hiding in Bajaur and had taken a wife there. In January 2006 a drone supposedly targeting him landed on a village called Damadola, destroying three houses and killing eighteen people. The Americans said he had been tipped offand escaped. That

same year, on 30 October, another US Predator hit a madrasa on a hill near the main town ofKhar, killing eighty-two people, many of them young boys. The Americans said it was the al-Qaeda training camp which had featured in the group's videos and that the hill was riddled with tunnels and gun emplacements. Within a few hours of the attack, an influential local cleric called Faqir Mohammad, who had run the madrasa, announced that the deaths would be avenged by suicide .bombings against Pakistani soldiers

My father and his friends were worried and called together local elders and leaders for a peace conference. Itwas a bitterly cold night in .January but 150 people gathered

It's coming here: my father warned. 'The fire is reaching the valley.' Let's put out the flames of militancy before they reach here: .But no one would listen. Some people even laughed, including a local .political leader sitting in the front row

Mr Khan: my father said to him, 'you know what happened to the' people ofAfghanistan. They are now refugees and they're living with us. The same is happening with Bajaur. The same will happen to us, mark my words, and we will have no shelter, no place to migrate to: But the expression on the man's face was mocking. 'Lookat this man: he seemed to be saying ofmy father. 'I am a khan. Who would dare '?kick me out ofthis area

My father came home frustrated. 'I have a school, but I am neither a khan nor a political leader. I have no platform: he said. 'I am only one :small man

8

The Autumn of the Earthquake

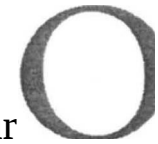

NE FINE OCTOBER day when I was still in primary school our desks started to tremble and shake. Our classes were still mixed at that age, and all the boys and girls yelled, 'Earthquake!' We ran outside as we had been taught to do. All the children gathered around our .teachers as chicks swarm to a mother hen

Swat lies on a geological fault line and we often had earthquakes, but this felt different. All the buildings around us seemed to be shaking and the rumbling didn't stop. Most of us were crying and our teachers were praying. Miss Rubi, one ofmy favourite teachers, told us .to stop crying and to stay calm; it would soon be over

Once the shaking had stopped we were all sent home. We found our mother sitting in a chair holding the Quran, reciting verses over and over. Whenever there is trouble people praya lot. She was relieved to see us and hugged us, tears streaming down her face. But the .aftershocks kept coming all afternoon so we remained very scared

We had moved again -we would move seven times by the time I was thirteen -and were living in an apartment building. It was high for Mingora, two storeys with a big water tank on the roof. My mother was terrified it would collapse on top ofus so we kept going outside. My father did not get home till late that evening as he had been busy .checking all the other school buildings

When nightfall came, there were still tremors and my mother was in a state of panic. Every time we felt a tremor we thought it was the Day

of Judgement. 'We will be buried in our beds!' she cried. She insisted we leave, but my father was exhausted and we Muslims believe our fate is written by God. So he put me and my brothers Khushal and .Atal, then just a baby, to bed

Go wherever you want; he told my mother and cousin. 'I am' staying here. Ifyou believe in God you will stay here: I think when there is a great disaster or our lives are in danger we remember our sins and wonder how we will meet God and whether we will be forgiven. But God has also given us the power to forget, so that when the tragedy is over we carryon as normal. I trusted in my father's faith, but .I also shared my mother's very real concerns

That earthquake of 8 October 2005 turned out to be one of the worst in history. It was 7.6 on the Richter scale and was felt as far away as Kabul and Delhi. Our town ofMingora was largely spared -just a few buildings collapsed -but neighbouring Kashmir and the northern areas .of Pakistan were devastated. Even in Islamabad buildings collapsed

It took a while for us to realise how bad it was. When the TV news began to show the devastation we saw that entire villages had been turned to dust. Landslides blocked access to the worst affected parts and all the phones and power lines were down. The earthquake had affected 30,000 square kilometres, an area as big as the American state of Connecticut. The numbers were unbelievable. More than 73,000 people had been killed and 128,000 injured many of them permanently disabled. Around three and a half million people had lost their homes. Roads, bridges, water and power had all gone. Places we had visited like Balakot were almost completely destroyed. Many of those killed were children who like me had been at school that morning. Some 6,400 .schools were turned to rubble and 18,000 children lost their lives

We remembered how scared we had been that morning and started raising money at school. Everyone brought what they could. My father went to everybody he knew, asking for donations offood, clothing and money, and I helped my mother collect blankets. My father raised

money from the Swat Association of Private Schools and the Global Peace Council to add to what we had collected at school. The total came to more than one million rupees. A publishing company in Lahore which supplied our schoolbooks sent five trucks offood and other essentials. We were terribly worried about our family in Shangla, jammed between those narrow mountains. Finally we got news from a cousin. In my father's small village eight people had been killed and many homes destroyed. One ofthem was the house ofthe local cleric, Maulana Khadim, which fell down crushing his four beautiful daughters. I wanted to go to Shangla with my father and the .trucks but he told me it would be too dangerous

When he returned a few days later he was ashen. He told us that the last part of the journey had been very difficult. Much of the road had collapsed into the river and large boulders had fallen and blocked the way. Our family and friends said they had thought it was the end of the world. They described the roar of rocks sliding down hills and everyone running out of their houses reciting the Quran, the screams as roofs crashed down and the howls of the buffaloes and goats. As the tremors continued they had spent the entire day outdoors and then the night too, huddling together for warmth, even though it was bitterly .cold in the mountains

To start with the only rescue workers who came were a few from a locally based foreign aid agency and volunteers from the Tehrike-Nifaz...,e-Sharia-e-Mohammadi (TNSM) or Movement for the Enforcement of Islamic Law, the group founded by Sufi Mohammad that had sent men to fight in Afghanistan. Sufi Mohammad had been in jail since 2002 when Musharraf arrested a number of militant leaders after American pressure, but his organisation still continued and was being run by his son-in-law Maulana Fazlullah. It was hard for the authorities to reach places like Shangla because most ofthe roads and bridges had gone and local government had been wiped out throughout the region. We saw an official from the United Nations say on television that it was the (worst logistical nightmare that the UN

.'had ever faced

General Musharraf called it a (test of the nation' and announced that the army had set up Operation Lifeline -our army likes giving their operations names. There were lots of pictures on the news of army helicopters laden with supplies and tents, but in many of the small valleys the helicopters could not land and the aid packages they dropped often rolled down slopes into rivers. In some places, when the helicopters flew in the locals all rushed underneath them, which meant .they could not drop supplies safely

But some aid did get in. The Americans were quick as they had thousands oftroops and hundreds ofhelicopters in Afghanistan so could easily fly in supplies and show they were helping us in our hour of need, though some crews covered the American markings on their helicopters, fearing attack. For many in the remote areas it was the .first time they had seen a foreigner

Most of the volunteers came from Islamic charities or organi~ sations but some ofthese were fronts for militant groups. The most visible ofall was Jamaat~ul~Dawa (JuD), the welfare wing ofLashkar~ e~Taiba. LeT had dose links to the lSI and was set up to liberate Kashmir, which we believe should be part of Pakistan not India as its population is mostly Muslim. The leader ofLeT is a fiery profes~ sor from Lahore called Hafiz Saeed, who is often on television call~ ing on people to attack India. When the earthquake happened and our government did little to help, JuD ~et up reliefcamps patrolled by men with Kalashnikovs and walkie~talkies. Everyone knew these men belonged to LeT, and soon their black and white banners with crossed swords were flying everywhere in the mountains and valleys. In the town of Muzaffarabad in Azad Kashmir the JuD even set up a large field hospital with X~ray machines, an operating theatre, a well~stocked pharmacy and a dental department. Doctors and surgeons .offered their services along with thousands ofyoung volunteers

Earthquake victims praised the activists who had trudged up and down mountains and through shattered valleys carrying medical help

to remote regions no one else had bothered with. They helped clear and rebuild destroyed villages as well as leading prayers and burying bodies. Even today, when most of the foreign aid agencies have gone, shattered buildings still line the roadside and people are still waiting for compensation from the government to build new houses, the JuD banners and helpers are still present. My cousin who was studying in the UK said they raised lots of money from Pakistanis living there. People later said that some of this money had been diverted to finance a plot to bomb planes travelling from Britain to the US. With such a large number ofpeople killed, there were many children orphaned -11,000 ofthem. In our culture orphans are usually taken in by the extended family, but the earthquake was so bad that entire families had been wiped out or lost everything so were in no position to take in children. The government promised they would all be looked after by the state, but that felt as empty as most government promises. My father heard that many ofthe boys were taken in by the JuD and housed in their madrasas. In Pakistan, madrasas are a kind of welfare system as they give free food and lodging, but their teaching does not follow a normal curriculum. The boys learn the Quran by heart, rocking back and forth as they recite. They learn that there is no such thing as science or literature, that dinosaurs never existed and that man .never went to the moon

The whole nation was in shock for a long time after the earthquake. Already so unlucky with our politicians and military dictators, now, on top of everything else, we had to deal with a natural disaster. Mullahs from the TNSM preached that the earthquake was a warning from God. If we did not mend our ways and introduce *shariat* or Islamic law, they shouted in their thundering voices, more severe punishment .would come

PART TWO

The **Valley of Death**

Rabab mangia wakht de teer sho Da kali khwa ta Talibaan raaghali dena

Farewell Music! Even your sweetest tunes are best kept silent The Taliban on the edge ofthe village have stilled all lips

رباب منکیه وخت تیر شو د کلي خواته طالبان راغلي دینه

Radio Mullah 9

I WAS TEN when the Taliban came to our valley. Moniba and I had been reading the Twilight books and longed to be vampires. It seemed to us that the Taliban arrived in the night just like vampires. They appeared in groups, armed with knives and Kalashnikovs, and first emerged in Upper Swat, in the hilly areas of Matta. They didn't call themselves Taliban to start with and didn't look like the Afghan Taliban we'd seen in pictures with their turbans and black-rimmed eyes.

These were strange-looking men with long straggly hair and beards and camouflage vests over their shalwar kamiz, which they wore with the trousers well above the ankle. They had jogging shoes or cheap plastic sandals on their feet, and sometimes stockings over their heads with holes for their eyes, and they blew their noses dirtily into the ends of their turbans. They wore black badges which said SHARIAT YA SHAHADAT -SHARIA LAW OR MARTYRDOM and sometimes black turbans, so people called them Tor Patki or the Black-Turbaned Brigade. They looked so dark and dirty that my father's friend described them as people deprived ofbaths and barbers):

Their leader was Maulana Fazlullah, a 28-year-old who used to operate the pulley chair to cross the Swat River and whose right leg dragged because of childhood polio. He had studied in the madrasa of Maulana Sufi Mohammad, the founder of the TNSM, and married his daughter. When Sufi Mohammad was imprisoned in around-up ofmilitant leaders in 2002, Fazlullah had taken over the movement's

leadership. It was shortly before the earthquake that Fazlullah had appeared in Imam Deri, a small village just a few miles outside Mingora on the other side of the Swat River, and set up his illegal radio station. In our valley we received most of our information from the radio because so many had no TV or are illiterate. Soon everyone seemed to be talking about the radio station. It became known as Mullah FM and Fazlullah as the Radio Mullah. It broadcast every night from eight to ten and again in the morning from seven to nine.

In the beginning Fazlullah was very wise. He introduced himself as an Islamic reformer and an interpreter ofthe Quran. My mother is very devout, and to start with she liked Fazlullah. He used his station to encourage people to adopt good habits and abandon practices he said were bad. He said men should keep their beards but give up smoking and using the tobacco they liked to chew. He said people should stop using heroin, and *chars*, which is our word for hashish. He told people the correct way to do their ablutions for prayers -which body part to wash first. He even told people how they should wash their private parts.

Sometimes his voice was reasonable, like when adults are trying to persuade you to do something you don't want to, and sometimes it was scary and full of fire. Often he would weep as he spoke of his love for Islam. Usually he spoke for a while, then his deputy Shah Douran came on air, a man who used to sell snacks from a tricycle in the bazaar. They warned people to stop listening to music, watching movies and dancing. Sinful acts like these had caused the earthquake, Fazlullah thundered, and if people didn't stop they would again invite the wrath of God. Mullahs often misinterpret the Quran and Hadith when they teach them in our country as few people understand the original Arabic. Fazlullah exploited this Ignorance.

'Is he right, *Aba?'* I asked my father. I remembered how frightening the earthquake had been.

'No, *Jani:* he replied. He is just fooling people:'

My father said the radio station was the talk ofthe staffroom. By

then our schools had about seventy teachers, around forty men and thirty women. Some of the teachers were anti-Fazlullah but many supported him. People thought that he was a good interpreter of the Holy Quran and admired his charisma. They liked his talk of bringing back Islamic law as everyone was frustrated with the Pakistani justice system, which had replaced ours when we were merged into the country. Cases such as land disputes, common in our area, which used to be resolved quickly, now took ten years to come to court. Everyone wanted to see the back of the corrupt government officials sent into the valley. It was almost as if they thought Fazlullah would recreate our old princely state from the time ofthe walL

Within six months people were getting rid of their TVs, DVDs and CDs. Fazlullah's men collected them into huge heaps on the streets and set them on fire, creating clouds of thick black smoke that reached high into the sky. Hundreds of CD and DVD shops closed voluntarily and their owners were paid compensation by the Taliban. My brothers and I were worried as we loved our TV, but my father reassured us that we were not getting rid of it. To be safe we moved it into a cupboard and watched it with the volume low. The Taliban were known to listen at people's doors then force their way in, take the TVs and smash them to pieces on the street. Fazlullah hated the Bollywood movies we so loved, which he denounced as un-Islamic. Only the radio was allowed, and all music except for Taliban songs was .declared *haram*

One day my father went to visit a friend in hospital and found lots of patients listening to cassettes of Fazlullah's sermons. 'You must :meet Maulana Fazlullah: people told"him. 'He's a great scholar He's actually a high-school dropout whose real name isn't even' Fazlullah: my father retorted, but they wouldn't listen. My father became depressed because people had begun to embrace Fazlullah's words and his religious romanticism. 'It's ridiculous: my father would :say, 'that this so-called scholar is spreading ignorance

Fazlullah was particularly popular in remote areas where people

remembered how TNSM volunteers had helped during the earthquake when the government was nowhere to be seen. On some mosques they set up speakers connected to radios so his broadcasts could be heard by everyone in the village and in the fields. The most popular part of his show came every evening when he would read out people's names. He'd say, 'Mr So-and-so was smoking *chars* but has stopped because it's sinful; or, 'Mr X has kept his beard and I congratulate him; or, 'Mr Y voluntarily closed down his CD shop: He told them they would have their reward in the hereafter. People liked to hear their names on the radio; they also liked to hear which of their neighbours were sinful '?so they could gossip: 'Have you heard about So-and-so

Mullah FM made jokes about the army. Fazlullah denounced Pakistani government officials as 'infidels' and said they were opposed to bringing in sharia law. He said that if they did not implement it, his men would 'enforce it and tear them to pieces: One of his favourite subjects was the injustice of the feudal system ofthe khans. Poor people were happy to see the khans getting their comeuppance. They saw Fazlullah as a kind of Robin Hood and believed that when Fazlullah took over he would give the khans' land to the poor. Some of the khans fled. My father was against 'khanism' but he said the Taliban .were worse

My father's friend Hidayatullah had become a government official in Peshawar and warned us, 'This is how these militants work. They want to win the hearts and minds of the people so they first see what the local problems are and target those responsible, and that way they get the support ofthe silent majority. That's what they did in Waziristan when they went after kidnappers and bandits. After, when :they get power, they behave like the criminals they once hunted down

Fazlullah's broadcasts were often aimed at women. He must have known that many of our men were away from home, working in coal mines in the south or on building sites in the Gulf. Sometimes he would say, (Men, go outside now. I am talking to the women: Then he'd say, 'Women are meant to fulfil their responsibilities in the home.

Only in emergencies can they go outside, but then they must wear the veil: Sometimes his men would display the fancy clothes that they said they had taken from 'decadent women' to shame them. My friends at school said their mothers listened to the Radio Mullah although our headmistress Madam Maryam told us not to. At home we only had my grandfather's old radio, which was broken, but my mother's friends all listened and told her what they heard. They praised Fazlullah and talked ofhis long hair, the way he rode a horse and behaved like the Prophet, PBUH. Women would tell him their dreams and he would pray for them. My mother enjoyed these stories, but my father was horrified.

I was confused by Fazlullah's words. In the Holy Quran it is not written that men should go outside and women should work all day in the home. In our Islamic studies class at school we used to write essays entitled (How the Prophet, PBUH, Lived: We learned that the first wife of the Prophet, PBUH, was a businesswoman called Khadijah. She was forty, fifteen years older than him, and she had been married before, yet he still married her. I also knew from watching my own mother that Pashtun women are very powerful and strong. Her mother, my grandmother, had looked after all eight children alone after my grandfather had an accident and broke his pelvis and could not leave his bed for eight years.

A man goes out to work, he earns a wage, he comes back home, he eats, he sleeps. Thafs what he does. Our men think earning money and ordering around others is where power lies. They dont think power is in the hands ofthe woman who takes care ofeveryone all day long, and gives birth to their children. In our house my mother managed everything because my father was so busy. It was my mother who would wake up early in the morning, iron our school clothes, make our breakfast and teach us how to behave. It was my mother who would go to the market, shop for us and cook.

All those things she did. In the first year of the Taliban I had two operations, one to take out my appendix and the other to remove my

tonsils. Khushal had his appendix out too. It was my mother who took us to hospital; my father just visited us and brought ice cream. Yet my mother still believed it was written in the Quran that women should not go out and women should not talk to men other than relatives they cannot marry. My father would say to her, (Pekai, purdah is not only in the veil, purdah is in the heart: Lots of women were so moved by what Fazlullah said that they gave him gold and money, particularly in poor villages or households where the husbands were working abroad. Tables were set up for the women to hand over their wedding bangles and necklaces and women queued up to do so or sent their sons. Some gave their life savings, believing that this would make God happy. He began building a vast red-brick headquarters in Imam Deri complete with a madrasa, a mosque and walls and levees to protect it from the Swat River. No one knew where he got the cement and iron bars from but the workforce was local. Every village had to take turns sending their men for a day to help build it. One day one of our Urdu teachers, Nawab Ali, told my father, (I won't be coming to school tomorrow: When my father asked why, he explained it was his village's turn to work on Fazlullah's buildings. (Your prime responsibility is to teach the students: replied my father. (No, I have to do this: said Nawab Ali. My father came home fuming. (Ifpeople volunteered in the same way to construct schools or roads or even clear the river of plastic wrappers, by God, Pakistan would become a paradise within a year: he said. (The only charity they know is to give to mosque and madrasa: A few weeks later the same teacher told him that he could no longer teach girls as (the *maulana* doesn't like it: My father tried to change his mind. 'I agree that female teachers should educate girls: he said.

'!'But first we need to educate our girls so they can become teachers One day Sufi Mohammad proclaimed from jail that there should be no education for women even at girls' madrasas. 'If someone can show any example in history where Islam allows a female madrasa, they can come and piss on my beard: he said. Then the Radio Mullah turned his attention to schools. He began speaking against school administrators

and congratulating girls by name who left school. 'Miss So-and-so has stopped going to school and will go to heaven: he'd say, or, 'Miss X of Y village has stopped education at Class 5. I congratulate her: Girls like me who still went to school he called buffaloes and sheep. My friends and I couldn't understand why it was SQ wrong '.Why don't they want girls to go to school?' I asked my father. 'They are scared of the pen: he replied. Then another teacher at our school, a maths teacher with long hair, also refused to teach girls. My father fired him, but some other teachers were worried and sent a delegation to his office. 'Sir, don't do this: they pleaded. 'These are bad days. Let him stay and we will cover for him:

Every day it seemed a new edict came. Fazlullah closed beauty parlours and banned shaving so there was no work for barbers. My father, who only has a moustache, insisted he would not grow a beard for the Taliban. The Taliban told women not to go to the bazaar. I didn't mind not going to the Cheena Bazaar. I didn't enjoy shopping, unlike my mother, who liked beautiful clothes even though we didn't have much money. My mother always told me, 'Hide your face -people are looking at you: I would reply, 'It doesn't matter; I'm also looking at them: and she'd get so cross.

My mother and her friends were upset about not being able to go shopping, particularly in the days before the Eid holidays, when we beautify ourselves and go to the stalls lit up by fairy lights that sell bangles and henna. All ofthat stopped. The women would not be attacked if they went to the markets, but the Taliban would shout at them and threaten them until they stayed at home. One Talib could intimidate a whole village. We children were cross too.

Normally there are new film releases for the holidays, but Fazlullah had closed the DVD shops. Around this time my mother also got tired of Fazlullah, especially when he began to preach against education and insist that those who went to school would also go to hell.

Next Fazlullah began holding a *shura,* a kind oflocal court. People liked this as justice was speedy, unlike in Pakistani courts, where you

could wait years and have to pay bribes to be heard. People began going to Fazlullah and his men to resolve grievances about anything from business matters to personal feuds. (1 had a thirtyyear-old problem and it's been resolved in one go: one man told my father. The punishments decreed by Fazlullah's *shura* included public whippings, which we had never seen before. One of my father's friends told him he had seen three men publicly flogged after the [1] *shura* had found them guilty of involvement in the abduction of two women. A stage was set up near Fazlullah's centre, and after going to hear him give Friday prayers, hundreds ofpeople gathered to watch the floggings, shouting *(Allahu Akbar! '*(God is great!' with each lash. Sometimes Fazlullah appeared galloping in on a black horse. His men stopped health workers giving polio drops, saying the vaccinations were an American plot to make Muslim women infer[1]tile so that the people of Swat would die out. (To cure a disease before its onset is not in accordance with sharia law: said Fazlullah on the radio. (You will not find a single child to drink a drop of the vaccine anywhere in Swat: Fazlullah's men patrolled the streets looking for offenders against his decrees just like the Taliban morality police we had heard about in Afghanistan. They set up volunteer traffic police called Falcon 98 Commandos, who drove through the streets with machine guns .mounted on top oftheir pick-up trucks

Some people were happy. One day my father ran into his bank manager. 'One good thing Fazlullah is doing is banning ladies and girls from going to the Cheena Bazaar, which saves us men money: he said. Few spoke out. My father complained that most people were like our local barber, who one day grumbled to my father that he had only eighty rupees in his till, less than a tenth of what his takings used to be. Just the day before the barber had told a jour·· nalist that the .Taliban were good Muslims

After Mullah FM had been on air for about a year, Fazlullah became more aggressive. His brother Maulana Liaquat, along with three of Liaquat's sons, was among those killed in an American drone attack on the madrasa in Bajaur at the end of October 200 6. Eighty

people were killed including boys as young as twelve, SOUle of whom had come from Swat. We were all horrified by the attack. and people swore revenge. Ten days later a suicide bomber ble'Vv himself up in the army barracks at Dargai, on the way from Islamabad to Swat, and killed forty-two Pakistani soldiers. At that tinle suicide bombings were rare in Pakistan -there were six in total that year -and it was the .biggest attack that had ever been carried out by Pakistani militants

At Eid we usually sacrifice animals like goats or sheep. But Faz-lullah said, 'On this Eid two-legged animals will be sacrificed: We soon saw what he meant. His meri began killing khans and political activists from secular and nationalist parties, especially the Awami National Party (ANP). In January 2007 a close friend of one of my father's friends was kidnapped in his village by eighty masked gun-men. His name was Malak Bakht Baidar. He was from a wealthy khan family and the local vice president ofthe ANP. His body was found dumped in his family's ancestral graveyard. His legs and arms had all been broken. It was the first targeted killing in Swat, and people said it was because he had helped the army find Taliban hideouts. The authorities turned a blind eye. Our provincial government was still made up of mullah parties who wouldn't criticise anyone who claimed to be fighting for Islam. At first we thought we were safe in Mingora, the biggest town in Swat. But Fazlullah's headquarters were just a few miles away, and even though the Taliban were not near our house they were in the markets, in the streets and the hills. Danger began to creep closer. During Eid we went to our family village as usual. I was in my cousin's car, and as we drove through a river where the road had been washed away we had to stop at a Taliban checkpoint. I was in the back with my mother. My cousin quickly gave us his music cassettes to hide in our purses. The Taliban were dressed in black and carried Kalashnikovs. They told us, 'Sisters, you are bringing shame. You must wear burqas: When we arrived back at school after Eid, we saw a letter taped to the gate. 'Sir, the school you are running is Western and infidel: it said. 'You teach girls and have a uniform that is un-Islamic.

Stop this or you will be in trouble and your children will weep and cry for you: It was signed, *'Fedayeen* ofIslam. My father decided to change the boys' uniform from shirt and trousers to shalwar kamiz, baggy pyjama-like trousers and a long shirt. Ours remained a royal-blue shalwar kamiz with a white *dupatta,* or headscarf, and we were advised to keep our heads covered coming in and out ofschool. His friend Hidayatullah told him to stand firm. 'Ziauddin, you have charisma; you can speak up and organise against them: he said. 'Life isn't just about taking in oxygen and giving out carbon dioxide. You can stay there accepting everything from the Taliban or you can make a stand against them: My father told us what Hidayatullah had said. He then wrote a etter to the *Daily Azadi*, our local newspaper. 'To the *Fedayeen* of Islam [or Islamic sacrificers], this is not the right way to implement Islam: he wrote. 'Please don't harm my children because the God you believe in is the same God they pray to every day. You can take my life but please don't kill my schoolchildren: When my father saw the newspaper he was very unhappy. The letter had been bur-ied on an inside page and the editor had published his name and the address of the school, which my father had not expected him to do. But lots of people called to congratulate him. (You have put the first stone in standing water; they said. (Now we will have the courage to .(speak

10

Toffees, Tennis Balls and the Buddhas of Swat

FIRST THE TALIBAN took our music, then our Buddhas, then our history. One ofour favourite things was going on school trips. We were lucky to live in a paradise like Swat with so many beautiful places to visit -waterfalls, lakes, the ski resort, the wali's palace, the Buddha statues, the tomb ofAkhund of Swat. All these places told our special story. We would talk about the trips for weeks beforehand, then, when the day finally came, we dressed up in our best clothes and

piled into buses along with pots of chicken and rice for a picnic. Some of us had cameras and took photographs. At the end of the day my father would make us all take turns standing on a rock and tell stories about what we had seen. When Fazlullah came there were no more school trips. Girls were not supposed to be seen outside. The Taliban destroyed the Buddhist statues and stupas i where we played, which had been there for thousands ofyears and ~frea part ofour history from the time ofthe Kushan kings. They bleaved any statue or painting was *haram,* sinful and therefore prohibed. One black day they even dynamited the face of the Jehanabaduddha, which was carved into a hillside just halfan hour's drive from Min gora and towered twenty-three feet into the sky. Archaeologists say it was almost as important as the Buddhas of Bamiyan, which the Afghan Taliban blew up. It took them two goes to destroy it. The first time they drilled holes in the rock and filled them with dynamite, but that didn't work. A few weeks later, on 8 October 2007, they tried again. Malala Yousafzai this time they obliterated the Buddha's face, which had watched over the valley since the seventh century. The Taliban became the enemy of fine arts, culture and our history. The Swat museum moved its collection away for safekeeing. They destroyed everything old and brought nothing new. The Taliban took over the Emerald Mountain with its mine and began selling the beautiful stones to buy their ugly weapons. They took money from the people who chopped down our precious trees for timber and then demanded more money to let their trucks pass.

Their radio coverage spread across the valley and neighbouring districts. Though we still had our television they had switched off the cable channels. Moniba and I could no longer watch our favourite Bollywood shows like *Shararat* or *Making Mischief* It seemed like the Taliban didn't want us to do anything. They even banned one of our favourite board games called Carrom in which we flick counters across a wooden board. We heard stories that the Taliban would hear children laughing and burst into the room and smash the boards. We

felt like the Taliban saw us as little dolls to control, telling us what to do and how to dress. I thought if God wanted us to be like that He wouldn't have made us all different.

One day we found our teacher Miss Hammeda in floods of tears. Her husband was a policeman in the small town of Matta, and Fazlullah's men had stormed in and some police officers had been killed, including her husband. It was the first Taliban attack on the police in our valley. Soon they had taken over many villages. The black and white flags of Fazlullans TNSM started appearing on police stations. The militants would enter villages with megaphones and the police would flee. In a short time they had taken over fifty-nine villages and set up their own parallel administrations. Policemen were so scared of being killed that they took out adverts in the newspapers to announce they had left the force.

All this happened and nobody did a thing. It was as though everyone was in a trance. My father said people had been seduced by Fazlullah. Some joined his men, thinking they would have better lives. My father tried to counter their propaganda but it was hard.